

الفصل الرابع: كيفية علاج المصابين بحالات الغيبوبة.

المبحث الأول : تعريف الغيبوبة وكيفية العلاج الطبي والقرآني للغيبوبة.

المبحث الثاني : أدوات التأثير بالقرآن الكريم ووظائفها.

المبحث الثالث : العلاج بالموجات الصوتية والدراسات العلمية فيه.

المبحث الثالث: علاج المرض بالاستماع للقرآن الكريم ومدى تأثيره.

الفصل الرابع

كيفية علاج المصابين بحالات الغيبوبة.

تمهيد

وقد تحدثنا في الفصل السابق عن العلاج بالقرآن الكريم وتأثيره. وبيننا أن القرآن شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وذهاب الرب وكشف الغطاء عن الأمور الدالة على الله سبحانه، كما أنه شفاء من الأمراض الظاهرة بالرفق والتعوذ، ويجوز حمل الشفاء على المعنيين من باب عموم المجاز، أو من باب حمل المشترك على معنيه. وفي هذا الفصل سوف تركز الباحثة عن كيفية علاج المصابين بحالات الغيبوبة بما فيه من تعريف الغيبوبة، وكيفية علاجها طبياً وبالرقية الشرعية. وقبل التعرض لمباحث هذا الموضوع يجدر بنا أن نعرف الغيبوبة، ومفهومها في القرآن الكريم، ونموذج قصة الغيبوبة طويلة في القرآن الكريم وهي قصة أصحاب الكهف. ثم نتطرق إلى مفهوم الغيبوبة من الناحية الطبية بإذن الله تعالى.

المبحث الأول: تعريف الغيبوبة وكيفية العلاج الطبي والقرآني للغيبوبة.

المطلب الأول: مفهوم الغيبوبة في القرآن الكريم والطب الحديث

أولاً: مفهوم الغيبوبة في القرآن الكريم

ورد في (المعجم الوسيط) كلمة (غيبوبة)، أصله غاب، غَيَّباً، وَغَيَّبَةً، وَغَيَّبَةً، وَغَيَّبَةً: خلاف شهد وحضر. ويقال: غاب عنه الأمر: خفي^١. وجاء في (معجم مفردات ألفاظ القرآن) للراغب

^١ مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث. ٢٠٠٤. المعجم الوسيط. الإشراف: أ.د. شوقي ضيف.

جمهورية مصر العربية: مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ص٦٩٧.

الأصفهاني من مادة (غيب) يقول: "الغيب مصدر غابت الشمس وغيرها إذا استترت عن العين، يقال غاب عني كذا، قال تعالى: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ (النمل ٢٧: ٢٠). واستعمل في كل غائب عن الحاسة وعما يغيب عن علم الإنسان بمعنى الغائب، قال: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (النمل ٢٧: ٧٥). ويقال للشيء غيب وغائب باعتباره بالناس، لا بالله تعالى فإنه لا يغيب عنه شيء كما قال: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ (القرآن. الأنعام ٦: ٧٣)."

وكلمة مرادفة لـ (غيبوبة) هي: سبات. وورد في (معجم مفردات ألفاظ القرآن) كلمة سبات بمعنى القطع، ومنه سبت السير قطعه، وسبت شعره حلقة، وأنفه أصطلمه^١.

وقد لوحظ من خلال هذا البحث بأن مصطلح (غيبوبة) لم يكن وارداً في القرآن الكريم باعتبار أنه نوعاً من أنواع المرض، وإلّا ورد فيه ما يدل على معناه اللغوي وهو غاب عنه الأمر أو القطع. ومع ذلك تبدو هذه الأقوال متقاربة المعاني من الناحية اللغوية. ويمكن أن تستخرج الباحثة من كل ما ذكر من أقوالهم في معنى (غيبوبة) حسب ما ورد في قصة أصحاب الكهف هو فقدان الوعي مؤقتاً أي غاب عنه الإدراك والشعور، والإحساس.

^١ الأصفهاني، الراغب. معجم مفردات ألفاظ القرآن. ص ٢٧٧.

^٢ المرجع نفسه، ص ١٦٦.

ثانياً: مفهوم الغيبوبة في الطب الحديث

الغيبوبة اصطلاحاً ذكر د. عبد العزيز اللبدي في (القاموس الطبي العربي)^١: "غيبوبة: سبات، غياب أوفقد الوعي وهي حالة تعطل فيها وظائف المخ العليا مؤقتاً، ويكون هناك نقص في استقبال الدفعات الحسية التي تصل المخ، وقد يكون هذا فسيولوجياً كما في النوم، أو مرضياً كما في الحالات التي تتدخل في التروية الدموية للمخ، وقد تكون ناجمة عن أسباب سمية حيث لا يمكن إفاقة المريض من السبات، أو الغيبوبة مع فقدان الوعي والإحساس فقداناً مستغرقاً تستعصي الإفاقة من المنبهات. وقد ينجم من السكتة المخية والصرع والتسمم البولي، والتسمم بالكحول وبالمورفين، وبال عقاقير المنومة وبغاز الاستنصباح والصعقة وضربة الشمس الشديدة والتزف، وغير ذلك. والعلاج المعجل يقتضي التثبيت من سبب الحالة، إذ أن من أسبابها ما يستلزم العلاج بالمنبهات كالصعقة والتسمم بالمورفين، ومنها ما يقتضي العلاج بالمسكنات المخية. كما أن استقصاء المرض لازم أيضاً في متابعة العلاج، إذ تختلف طرقه باختلاف الأسباب. سبات سَكَنِي هو سبات ناجم عن آفة وعائية حادة، كالنزيف الدماغي، التخر أو الصمة".

الغيبوبة بالإنجليزية (Coma)، وتعني باليونانية النوم العميق، وهي حالة فقدان وعي عميقة، فلا يمكن للفرد خلالها أن يتفاعل مع البيئة المحيطة به، ولا يمكنه أيضاً الاستجابة للمؤثرات الخارجية. تتميز الغيبوبة بفشل عمل نظام التنشيط الشبكي الصاعد (بالإنجليزية: ascending reticular activating system/ARAS). الشخص الواقع تحت تأثير الغيبوبة هو شخص على قيد الحياة، لكنه ليس نائماً. وموجة نشاط الدماغ لشخص في الغيبوبة تختلف كثيراً عن تلك لدى شخص نائم، يمكنك إيقاظ شخص من النوم، لكن لا يمكنك إيقاظ شخص من حالة غيبوبة.

^١ اللبدي، د. عبد العزيز. ٢٠٠٥. القاموس الطبي العربي. عمان: دار البشير، ط ١، ص ٨٢٦.

الغيوبة في الطب الحديث هي حالة فقدان الوعي التام العميق بحيث لا يمكن إعادة الأشخاص الذين يكونون في هذه الحالة إلى وعيهم عن طريق المنبهات المألوفة مثل روح الشادر، أو بالضرب الخفيف أو الوخز بالإبر. ومن الأسباب التي قد تؤدي إلى الغيوبة الجرعات الدوائية الزائدة، ونوبات المرض، وإصابات الرأس، والأورام الخبيثة، والسكتات الدماغية. كما أن مرضى البول السكري ومرضى الكبد والكلى معرضون أيضاً للغيوبة ويعالج الأطباء الغيوبة وفقاً لمسبباتها^١.

ثالثاً: رعاية المصابين بحالات الغيوبة في القرآن الكريم: قصة أصحاب الكهف نموذجاً القرآن لا يعلل المريض حين يكون في غيوبة طالت أم قصرت موتاً، بل يعامل معاملة الأحياء. ولهذا نرى القرآن الكريم يقص علينا قصة غيوبة طويلة ظلت أكثر من ثلاثمائة عام وظل الجسد فيها صالحاً، ثم عاد إليه الإحساس بعد تلك المدة الطويلة، ولم يسم ذلك القرآن موتاً. ويدل في نظر البعض على معجزة تماووي بحفظ الأجساد حية^٢. وهي المعجزة التي أظهرتها القصة الآتية في الآيات الكريمة:

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ (١) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (٢) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (٣) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِئُوا أَمَدًا (٤) وَإِذْ عَزَّزْنَاهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَاوْتُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا (٥) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا

^١ دائرة المعارف العالمية. ١٩٩٦. الموسوعة العربية العالمية. المملكة العربية السعودية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط ١، ج ١٧، ص ١٤٨.

^٢ مجلة مجمع الفقه الإسلامي. عنوان البحث: حقيقة الموت والحياة في القرآن والأحكام الشرعية. للدكتور توفيق الواعي. ج ٣، ص ٢٦٤.

طَلَعَتْ نَزَّوْرٌ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا عَزَمْتَ تَقَرِّضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٨﴾ وَتَحْسَبُهُمْ آيِقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَنَسْطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا ﴿١٩﴾ (سورة الكهف ١٨ : ٩-١٨).

والناظر في قصة أصحاب الكهف هذه يلاحظ أموراً، منها:

١. عبر القرآن في قصة أصحاب الكهف بقوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ﴾ ولم يقل فأممتناهم أو ألقينا عليهم الموت مثلاً، وإنما خلت القصة من ذكر الموت تماماً لأن الغيوبة هي فقدان للإحساس فقط، والحياة مستمرة، ولهذا حرص القرآن على أن ينبهنا إلى سلامة الجسد وعلى عدم تحله، بل وعلى نماء شعورهم في تلك الفترة الطويلة التي ذكرها القرآن على خلاف العادة وهي: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (سورة الكهف ١٨ : ٢٥). ونماء ما يعمو في الجسد مثل الأظفار وغيرها وذلك مشار إليه في القصة بقوله: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾ (سورة الكهف ١٨ : ١٨). وذلك لطول شعورهم ومحو أظفارهم والحاجم إلى غير ذلك مما يغير الملامح ويخيف عند زيادته عن المؤلف والمتعارف.

^١ مجلة مجمع الفقه الإسلامي. عنوان البحث: حقيقة الموت والحياة في القرآن والأحكام الشرعية. للدكتور توفيق النواحي.

وورد في تفسير ابن كثير: وكما أرقدناهم بعثناهم صحيحة أبدانهم وأشعارهم وأبشارهم، لم يفقدوا من أحوالهم وهيئاتهم شيئاً، وذلك بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين^١ وهم في هيتهم هذه يثيرون الرعب في قلب من يطلع عليهم^٢. فقالوا: لبثنا يوماً ثم نظرنا وقد بقيت من الشمس بقية فقالوا: (أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) فلما نظرنا إلى طول شعورهم وأظفارهم علموا أنهم لبثوا أكثر من يوم^٣.

وقد انتقد الشوكاني بأن الأمر لم يكن كذلك، بل كانت أحوالهم كالعادة، وقيل طول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم ووحشة مكائهم ويدفعه قوله تعالى: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ فإن ذلك يدل على أنهم لم ينكروا من حالهم شيئاً ولا وجدوا من أظفارهم

^١ ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. ج ٣. ص ٧٠.
^٢ قطب، سيد. في ظلال القرآن. ج ٤. ص ٢٢٦٣.
^٣ البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. ص ٢٠٢. تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط ١. ج ٣. ص ١٨٤. قال الزجاج: ﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً﴾ فراراً منصوب على المصدرية بمعنى التولية والفرار: الهرب ﴿ولليت﴾ قرئ بتشديد اللام وتخفيفها ﴿منهم ربعا﴾ قرئ بسكون العين وضمها أي خوفاً يملأ الصدر وانتصاب ربعا على التمييز أو على أنه مفعول ثانٍ سبب الرعب الهيبة التي ألبسهم الله إياها وقيل طول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم ووحشة مكائهم ويدفعه قوله تعالى: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ فإن ذلك يدل على أنهم لم ينكروا من حالهم شيئاً ولا وجدوا من أظفارهم وشعورهم ما يدل على طول المدة. وجملة ﴿قال قائل منهم كم لبثتم﴾ مبنية لما قبلها من التساؤل: أي كم مدة لبثكم في النوم؟ قالوا ذلك لأنهم رأوا في أنفسهم غير ما يعهدونه في العادة ﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ أي قال بعضهم جواباً عن سؤال من سأل منهم قال المشركون: إنهم دخلوا الكهف غداة وبعثهم الله سبحانه آخر النهار فلذلك قالوا يوماً فلما رأوا الشمس قالوا أو بعض يوم وكان قد بقيت بقية من النهار. انظر الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. د. ت. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. ضبطه: أحمد عبد السلام. بيروت: دار الكتب العلمية. د. ط. ج ٣. ص ٣٤١.

وشعورهم ما يدل على طول المدة^١. وتميل الباحثة بهذا الموقف من أحوال أصحاب الكهف.

٢. حرص القرآن في القصة على أن يعلمنا كيف نحفظ الأجساد حين يكون في غيبوبة حتى لا يتلف الجسد ويفقد الحياة إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً، ويفيق الإنسان أو ترد إليه الحياة الشعورية، وذلك بأمرين:

أولهما: التدفئة المناسبة.

والآية الدالة على التدفئة المناسبة، قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّ اللَّهُ فَهَوَ الْمُهِتَدِ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَنْ يُجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ۝﴾ . وكانت الشمس تطلع فتنفذ أشعتها إلى الكهف من كوة فيصل إلى الكهف الهواء، والضوء إلا أن أشعة الشمس كانت تميل عنهم، وتبعد عن أجسادهم. وبذلك صار الكهف مكاناً صالحاً للنوم من الناحية الصحية^٢.

يقول ابن عاشور في تفسيره: " فيدل على أن فم الكهف كان مفتوحاً إلى الشمال الشرقي، فالشمس إذا طلعت تطلع على جانب الكهف ولا تخترقه أشعتها، وإذا غربت كانت أشعتها أبعد عن فم الكهف منها حين طلوعها. وهذا وضع عجيب يسهل الله لهم

^١ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. د. ت. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. ضبطه: أحمد عبد السلام. بيروت: دار الكتب العلمية. د. ط. ج. ٣. ص ٣٤١.

^٢ أ. د. أحمد شوقي إبراهيم. ٢٠٠٦ م. أسرار النوم: رحلة في عالم الموت الأصغر. القاهرة: نخضة مصر. ط ١. ص ٩٥.

بحكمته ليكون داخل الكهف حالة اعتدال فلا ينتاب البلى أجسادهم، وذلك من آيات قدرة الله. والفجوة: المتسع من داخل الكهف، بحيث لم يكونوا قريبين من فم الكهف. وفي تلك الفجوة عون على حفظ هذا الكهف كما هو^١.

ثانيهما: التقلب المستمر.

والآية الدالة على التقلب المستمر قوله تعالى: ﴿وَتَقْلِبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾. قال بعض السلف: يقلبون في العام مرتين. قال ابن عباس: لو لم يقلبوا لأكلتهم الأرض^٢. ويقول ابن عاشور: "والتقلب: تغيير وضع الشيء من ظاهره إلى باطنه، قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يَقْلِبُ فِيهِ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَذَاتَ الْيَمِينِ... وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ أي إلى جهة أيماهم وشئائهم. والمعنى: أن الله أجرى عليهم حال الأحياء الأيقاظ فجعلهم تتغير أوضاعهم من أيماهم إلى شئائهم والعكس، وذلك لحكمة لعل لها أثراً في بقاء أجسامهم بحالة سلامة"^٣.

وهذه هي العناية السريرية وخاصة لمضي الغيوبة، فإذا ظل الإنسان طريح الفراش لزمن طويل، فإنه من الضروري أن يغير وضع الجسم في الفراش من جنب إلى جنب من وقت لآخر. ولو لم يحدث ذلك لحدثت أخطار شتى للجسم، وحتى نفهم تلك الأخطار الصحية نذكر الحقائق العلمية التالية^٤:

^١ ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. ج ٧ (١٥). ص ٢٧٩.

^٢ ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. ج ٣. ص ٧٩.

^٣ ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. ج ٧ (١٥). ص ٢٨١.

^٤ أ.د. أحمد شوقي إبراهيم. ٢٠٠٦م. أسرار النوم. رحلة في عالم الموت الأصغر. القاهرة: غضة مصر. ط ١. ص ٩٥.

- معظم جسم الإنسان ماء. فالماء يشكل أكثر من ثلثي وزن الجسم. وهذا القدر من الماء يخضع للجاذبية الأرضية. ففي أثناء الوقوف لساعات طويلة تتورم القدمان. ولو استمر وضع الجسم دون أن يتغير مدة طويلة من الزمن لحدث موت الجلد تدريجياً. وينشأ ما يسمى بقروح الفراش، ويظهر اللحم، وتظهر العظام، وتؤدي قروح الفراش إلى مضاعفات خطيرة بالجسم ويصعب علاجها ويطول.
- إذا ظل وضع الجسم كما هو-على جنب واحد مثلاً- ساعات وأياماً، يحدث احتقان والتهاب بالرقبة، وما يعقبه من آثار ونتائج ضارة بالجسم.
- إن عدم تغير وضع الجسم النائم أياماً وأسابيع يؤدي إلى تباطؤ الدورة الدموية في الساقين، الأمر الذي يسبب جلطات فيها. كما قد تنشأ مضاعفات خطيرة بالجسم، كتئس المفاصل، وصعوبة الحركة بعد ذلك.

هذه بعض الأخطار الصحية التي يتعرض لها الجسم الذي يكون ملازماً للفراش دون أن يُغيّر من وضعه باستمرار. وكأن القصة بهذا تعلمنا صورة من صور التمريض المتقدم، ونلاحظ في القصة أن القرآن يركز على عنصرين أساسيين: التدفئة والتقليب الجسدي المستمر، أما الغذاء فهو غذاء رباني تولاه الله، ومثل هذا الغذاء لا بول معه ولا براز. وقد لا يكون هناك غذاء بالمرة ففقدرة الله تعالى كفيلة بالحياة ولو بدون غذاء. ومن خلال هذه القصة يمكننا أن نستنتج أن العلاج العلاج التمريضي للمصابين بحالات الغيبوبة في القرآن الكريم هي التدفئة والتقليب الجسدي المستمر والتغذية.

المطلب الثاني: أحكام العبادات للمصابين بحالات الغيبوبة

ذكر الفقهاء أن للمريض حين يكون في غيبوبة طالت أم قصرت أحكاماً تخص المغمى عليه^١ على قسمين:

أولاً: الحالة الأولى:

حالة إغماء مؤقت يزول بزوال العارض الطارئ. وهذه الحالة تدخل ضمن موضوع الإغماء، حيث يمكن تشخيص الحالة بفتح العين وتسلط ضوء على الحدقة حيث يتبين مدى استجابة البؤبؤ للضوء المسلط عليه، أو حقن ماء بارد في الأذن ولا يخفى سرعة استجابة الرأس في حالة دخول ماء بارد إلى عصب الأذن.

^١ مادة (إغماء): مصدر (أغمى على الرجل) مبنى للمجهول، والإغماء مرض يزيل القوى ويستر العقل، وقيل فتور عارض لا بمخدر يزيل على القوى. ولا يخرج التعريف الاصطلاحي عن هذا، انظر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت. ١٩٨٣م. الموسوعة الفقهية الكويتية. الكويت: طباعة ذات المصاحف. ط ٢. ج ٥. ص ٢٦٧. مادة (إغماء). غالباً ما يكون الإغماء عابراً، فيصحو الشخص خلال ثوان أو دقائق معدودات، إلا أن الإغماء في بعض الحالات المرضية قد يستمر عدة ساعات أو أيام، وبالإجمال فإن المرضى المغمى عليهم يحتاجون رعاية طبية مشددة (Intensive Care) ويحتاجون - من الناحية الشرعية - إلى العناية بستر عوراتهم لأنهم لا يقدرّون على سترها، ويجب على المسؤولين عن تطبيق هؤلاء المرضى وضع ضوابط مشددة للحيلولة دون الخلوة المخزومة بهم، لما فيها من محاذير بسبب إغمائهم وعدم إدراكهم لما يفعل بهم، واحتمال وقوع الاعتداء الجنسي عليهم، أو كشف عوراتهم ولمسها والنظر إليها والعبث بها من قبل بعض ضعاف الإيمان. ولهذا يحسن أن لا يترك المريض المغمى عليه في غرفة منفردة، وأن يكون تحت رقابة جماعية مستمرة لمنع أية تجاوزات للأعراف الشرعية والطبية. انظر: الدكتور أحمد محمد كنعان. ٢٠٠٠م. الموسوعة الطبية الفقهية: موسوعة جامعة للأحكام الفقهية في الصحة والمرض والممارسات الطبية. د.م. دار الفرائس. ط ١. ص ٩٥-٩٦.

ومن الآثار المترتبة على الحالة الأولى (الإغماء/الغيوبة) في العبادات:

أثر الإغماء في الأهلية: الإغماء لا يؤثر في أهلية الوجوب لأن مناطها الإنسانية، أما أهلية الأداء فإنه ينافيها، لأن مدارها العقل، وهو مغلوب على عقله^١.

١. الطهارة (الوضوء والتيمم)

أجمع العلماء على أن الإغماء ناقض للوضوء قياساً على النوم، بل هو أولى لأن النائم إذا أوقف استيقظ بخلاف المغمى عليه، ونص الفقهاء: على أن كل ما يبطل الوضوء يبطل التيمم^٢.

٢. الصلاة: أثر الإغماء في سقوط الصلاة:

ذهب المالكية^٣، والشافعية^٤، وهو أحد قولي الحنابلة^٥: إلى أن المغمى عليه لا يلزمه قضاء الصلاة إلا أن يفيق في جزء من وقتها، مستدلّين بأن أم المؤمنين "عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله ﷺ عن الرجل يغمى عليه فيترك الصلاة"، فقال ﷺ: ليس من ذلك قضاء، إلا أن يغمى

^١ الموسوعة الفقهية الكويتية. ج ٥. ص ٢٦٧.

^٢ ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي. ١٩٨٣م. ملغني مع الشرح الكبير. بيروت: دار الكتب العربي. ج ١. ص ١٦٤. ابن عابدين، محمد أمين بن عمر. ١٩٨٤م. حاشية والختار على الدر المختار. القاهرة: مصطفى البابي الحلبي. ج ١. ص ١٤٩. الزحيلي، وهبة. ١٩٨٥م. الفقه الإسلامي وأدلته. دمشق: دار الفكر. ط ٢. ج ١. ص ٢٨٥.

^٣ محمد عرفة الدسوقي. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية. ج ١. ص ١٨٤ وما بعدها.

^٤ المجموع شرح المذهب: ٢٧/٣، أبي زكريا يحيى بن شرف النووي. روضة الطالبين. دمشق: المكتب الإسلامي للطباعة والنشر. ج ١. ص ١٨٨-١٨٩.

^٥ ابن اللحام، علي بن عباس البعلبي. ١٩٥٦م. القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام الفرعية. تحقيق: محمد حامد الفقي. القاهرة: مطبعة السنة المحمدية. ص ٣٥.

عليه فيفيق في وقتها فيصليها^١. وقوله ﷺ : «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل»^٢ فنص على المجنون، وقيس عليه كل من زال عقله بسبب مباح. أما من زال عقله بسبب محرم كمن شرب المسكر، أو تناول دواء من غير حاجة، فزال عقله، فيجب عليه القضاء إذا أفاق؛ لأنه زال عقله بمحرم، فلم يسقط عنه الفرض^٣.

وهو رأي الراجح على ما ذهب إليه الجمهور لما ذكره من دليل واضح وهو حديث عائشة رضي الله عنها، وأيضاً ما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنه أغمي عليه يوماً وليلة فأفاق فلم يقض ما فاتته واستقبل^٤.

^١ الموسوعة الفقهية الكويتية. ج ٥. ص ٢٦٨. حديث سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن الرجل يغمي عليه... أخرجه دار القطني في سننه. ٢٠٠٤م. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة. ج ٢. ص ٤٥٢-٤٥٣. والبيهقي في السنن الكبرى. من طريق الحكم الأيلي. قال البيهقي: والحكم بن عبد الله الأيلي تركوه لأن ابن المبارك يوهنه، ونهى ابن حنبل عن حديثه. ج ١. ص ٢٨٨.

^٢ أخرجه أبو داود في سننه. سنن أبي داود. رقم الحديث: ٤٠٠١. ص ٧٨٨. خلاصة حكم المحدث: سكت عنه. وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح.

^٣ الزحيلي، وهبة. الفقه الإسلامي وأدلته. ج ٢. ص ١٣٢.

^٤ أخرجه الدارقطني في سننه. الدارقطني، علي بن عمر أبو الحسن. ٢٠٠٤م. سنن الدارقطني. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة. رقم الحديث: ١٨٦١. ط ١. ج ٢. ص ٤٥٣. من طريق ابن أبي ليلى عن نافع عن ابن عمر وابن أبي ليلى ساء الحفظ، إلا أنه لم يتفرد به، فقط تابعه عبيد الله المصغر - ثقة حجة - عن نافع أخرجه الدارقطني في السنن. ج ٢. ص ٨٢. من حديث سفيان عن عبيد الله . والأثر بطريقه يزداد قوة وثباتاً.

٣. الصيام: أثر الإغماء في الصيام:

أجمع الفقهاء على أن الإغماء لا يسقط قضاء الصيام، فلو أغمي على شخص جميع الشهر ثم أفاق بعد مضيئه يلزمه القضاء إن تحقق ذلك^١، وهو نادر والنادر لا حكم له، إلا عند الحسن البصري فإنه يقول: "سبب وجوب الأداء لم يتحقق في حقه لزوال عقله بالإغماء ووجوب القضاء يبتني على وجوب الأداء"^٢.

واستدل فقهاء المذاهب بأن الإغماء عذر في تأخير الصوم إلى زواله لا في إسقاطه لأن سقوطه يكون بزوال الأهلية أو بالخرج، ولا تبطل الأهلية به ولا يتحقق الخرج إنما يتحقق فيما يكثر وجوده وامتداده في حق الصوم نادر لأنه مانع من الأكل والشرب، وحياة الإنسان شهراً بدون الأكل والشرب لا يتحقق إلا نادراً فلا يصلح لبناء الأحكام عليه^٣.

٤. الزكاة: أثر الإغماء على الزكاة:

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن المغني عليه يجب في ماله الزكاة إذا بلغ نصاباً وحال عليه الحول، ويخرجها عنه وليه، إبراءً لذمته، وأما إذا أغمي عليه بعد وجوبها فلا يتأتى منه الأداء، وعليه إذا أفاق قضاؤها ولو امتد به الإغماء، إذ أن امتداده نادر والنادر لا حكم له^٤.

^١ ابن قدامة، المغني مع الشرح الكبير. ج ٣. ص ٣٢. قال ابن قدامة: (على المغني عليه القضاء بغير خلاف علمناه)
^٢ ابن قدامة. المغني مع الشرح الكبير. ج ٣. ص ٣٢. عبد العزيز البخاري. ١٣٩٤هـ. كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي. بيروت: دار الكتاب العربي. ج ١. ص ٢١٧-٢١٨.
^٣ ابن اللحام. التواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام الفرعية. ص ٣٥. محمد بن أحمد الشاشي. ٩٨٨م.
حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء. تحقيق: ياسين درازة. عمان (الأردن): مكتبة الرسالة الحديثة. ج ٣. ص ٢٠٧.
^٤ عبد العزيز البخاري. كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي. ج ٤. ص ٢٨١.

٥. الحج: أثر الإغماء في الحج:

المغمى عليه لا يتأتى منه أداء أفعال الحج لأنه فاقد للأهلية، ولكن هل يصح إحرام الغير عنه بدون إذن منه؟ وهل إذا أناب أحداً تقبل الإنابة كأن يقول لرفقته: إذا أغمي عليّ فأحرامي معكم أو نحوه؟

قال المالكية، والشافعية، والحنابلة: إن المغمى عليه لا يحرم عنه غيره لأنه ليس بزائل العقل وبرؤه مرجو على القرب. إذا أيس من برئه بأن زاد إغماؤه على ثلاثة أيام يحرم الولي عنه وهو قول بعض الشافعية.

أما بالنسبة للوقوف بعرفة: فالكل يجمعون على أنه لو أفاق المغمى عليه في زمن الوقوف ولو لحظة أجزأه، وإن لم يبق من إغمائه إلا بعد الوقوف فمذهب المالكية، والشافعية، والحنابلة إلى أن الحج فاته في ذلك العام، ولا عبء بإحرام أصحابه عنه ووقوفهم بعرفة. والحنفية يكتفون بالكينونة أي: وجود المغمى عليه في عرفة. فوقوف المغمى عليه مجزئ، وهو قول فيه وجاهة بشرط أن يكون قد أحرم قبل الوقوف ثم أغمي عليه.

ثانياً: الحالة الثانية:

هناك حالات من الإغماء قد تدوم زمناً طويلاً بسبب بعض إصابات الدماغ وغيرها، ونذكر من حالات الإغماء المديد النادرة حالة الأمريكية (ألين إسبوزيتو) التي أجريت لها عملية استئصال للزائدة الدودية في ٦/٨/١٩٤١م دخلت على إثرها في حالة إغماء لم تستف منها إلى أن توفيت في يوم ٢٥/١١/١٩٧٨م، أي إن إغماءها استمر نحو ٣٨ عاماً. ومن الناحية الشرعية

فإن مثل هذه الحالات يترتب عليها بعض الأحكام التي تضاف إلى ماسبق بيانه من الأحكام الإغماء في حالة الأولى. ولا يجوز إنهاء حياة المغمى عليه إغماء مديدا حتى وإن قطع الأطباء إنه لا أمل في شفائه، لأنه يعد حيا مادام يتنفس تلقائيا وقلبه ينبض دون مساعدة الأجهزة، ومادام لم يصل بعد إلى مرحلة موت الدماغ، ويجب بذل العناية الطبية اللازمة له حتى يفيق من إغمائها أو تتحقق وفاته^١.

يقول د. مازن بن عيسى بن نجم الزين في بحثه عن "إيقاف الإنعاش القلبي والرئوي" عن الحالة الثانية هي "وصول الشخص في حالة (فقدان للوعي) بحيث يدخل إلى غرفة الإنعاش وتوضع عليه أجهزة الإنعاش^٢، في حالات أذكر منها: توقف النفس، توقف ضربات القلب، أو حدوث ضعف شديد فيها، الإغماء الكامل وعدم الحركة، عدم وجود أي نشاط كهربائي في رسم المخل

^١ الدكتور أحمد محمد كنعان. ٢٠٠٠م. الموسوعة الطبية الفقهية: موسوعة جامعة للأحكام الفقهية في الصحة والمرض والممارسات الطبية. د.م. دار النفائس. ط ١، ص ٩٦.

^٢ أما آلات الإنعاش الطبي فهي:

المنفسة: وهي عبارة عن جهاز يقوم بعمل الجهاز التنفسي بتعويض القفص الصدري فيحدث للمريض ما يسمى بالشهيق والزفير.

مانع الذبذبات: وهو جهاز من أجهزة إنعاش القلب يقوم بإعطاء القلب صدمات كهربائية لإعادة ما ضعف من دقات القلب أو ما انقطع منها.

جهاز منظم ضربات القلب: وهو من أجهزة إنعاش القلب يحتاج إليه حينما تكون ضربات القلب بطيئة بحيث لا يصل الدم إلى المخ بكمية كافية أو أن الدم بسبب ضعف ضربات القلب ينقطع عن الدماغ لمدة دقيقة أو ثوان.

مجموعة الأدوية والعقاقير الطبية: حسب تقدير الأطباء وحالة المريض.

جهاز للقيام بوظائف الكلية (الكلية الاصطناعية). انظر: مؤتمر الفقه الإسلامي الثاني بجامعة الإمام بن سعود الإسلامية، عنوان البحث: إيقاف الإنعاش القلبي والرئوي، إعداد: د. مازن بن عيسى بن نجم الزين.

http://www.imamu.edu.sa/events/conference/reseashe/res24/Pages/8_20.aspx

تاريخ التحديث: ٢٩،٢،٢٠١٢

كما هو معروف عند الأطباء، إصابة بالغة بالمخ، الاختناق، الغرق، استنشاق أو أكل أو شرب مواد سامة، جلطة في القلب، جلطة في المخ، إلى غير ذلك"، وأن يكون قد مضى ست ساعات على الأقل من دخول المصاب في غيبوبة".^١

فإذا حدثت هذه الأعراض فإن المصاب يدخل إلى ما يسمى بحجرة الإنعاش وتوضع عليه أجهزة الإنعاش، وقد أتاحت التقنيات الطبية الحديثة وسائل وأجهزة وأدوات متطورة للإنعاش، بعضها يفيد في إنعاش القلب بعد توقفه وبعضها يقوم بوظيفة التنفس بدلاً عن الرئتين في حال فشل التنفس وذلك في الحالات التي لم تصل إلى مرحلة الموت الفعلي.

إذا ظهرت علامات الإغماء الكامل وعدم الاستجابة لأي مؤثرات لتنبيه المريض وعدم وجود أي حركة تلقائية أو أي أفعال منعكسة، مع عدم التنفس لمدة ثلاث دقائق بعد إبعاد المنفسة فهذا يدل على موت في أجزاء من الدماغ.

وقد تناول الفقهاء مسألة جواز رفع الأجهزة عن المريض والخلاف في ذلك، وقد ترجح رأي هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية إضافة إلى كثير من العلماء المعاصرين الذين قرروا جواز رفع الأجهزة إذا تيقن الأطباء من صحة تشخيصهم. ويتم القرار برفع أجهزة الإنعاش من قبل

^١ مؤتمر الفقه الإسلامي الثاني بجامعة الإمام بن سعود الإسلامية، عنوان البحث: إيقاف الإنعاش القلبي والرئوي، إعداد: د.

مازن بن عيسى بن نجم الزين.

اثنين من الاختصاصيين أو ثلاثة، وهذا هو المتبع في معظم دول العالم ومنها المملكة العربية السعودية^١.

ويؤيد ذلك قرار مجمع الفقه الإسلامي بدورته العاشرة حيث نص القرار: "المريض الذي ركبت على جسمه أجهزة الإنعاش يجوز رفعها إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلاً نهائياً، وقررت لجنة من ثلاثة أطباء اختصاصيين خبراء أن التعطل لا رجعة فيه، وإن كان القلب والتنفس لا يزالان يعملان آلياً بفعل الأجهزة المركبة لكن لا يحكم بموته شرعاً إلا إذا توقف التنفس والقلب توقفاً تاماً بعد رفع هذه الأجهزة"^٢.

ويتم تحديد وقت الوفاة تحت الإنعاش بعد توقف القلب والتنفس توقفاً نهائياً لا رجعة فيه، ويترتب على هذا آثار منها: إمكانية الاستفادة من أعضاء المريض، وإصدار شهادة وفاة له ودخول زوجته في العدة، وخروج ماله من ملكه إلى ورثته^٣.

^١ مؤتمر الفقه الإسلامي الثاني بجامعة الإمام بن سعود الإسلامية، عنوان البحث: إيقاف الإنعاش القلبي والرئوي، إعداد: د. مازن بن عيسى بن نجم الزين. http://www.imamu.edu.sa/events/conference/research/res24/Pages/8_20.aspx تاريخ التحديث: ٢٩،٢،٢٠١٢

^٢ قرار مجمع الفقه الإسلامي في دورته العاشرة المنعقدة بمكة المكرمة ٢٥-٢٧ صفر ١٤٠٨هـ/١٢-٢١ أكتوبر ١٩٨٨. ضمن مجموعة بحوث تقدم بها: (محمد سليمان الأشقر، أشرف الكردي، حلمي حجازي وغيرهم) ونشرت هذه البحوث في مجلة مجمع الفقه الإسلامي. العدد: ٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

^٣ مؤتمر الفقه الإسلامي الثاني بجامعة الإمام بن سعود الإسلامية، عنوان البحث: إيقاف الإنعاش القلبي والرئوي، إعداد: د. مازن بن عيسى بن نجم الزين.

المطلب الثالث: كيفية العلاج الطبي والقرآني للغيوبة والرقية به.

كما ذكرنا آنفاً العلاج التام هو الجمع بين العلاج المادي والروحي معاً. فالعلاج المادي يمثل بالاستفادة من جميع وسائل العلاج الحديثة. وفي هذا تطبيق عملي للسنة النبوية لقوله عليه الصلاة والسلام (تداووا عباد الله). هذا الأمر النبوي الصريح يحضنا على الاستفادة من أي وسيلة علاجية ممكنة، وفي نفس الوقت لا يمكن إهمال العلاج الروحي بما فيه قراءة القرآن والرقية به، والدعاء برجاء الشفاء من الله سبحانه وتعالى، لأنه يقول ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (سورة الشعراء ٢٦: ٨٠)، وعليه فإنه لا يمكن أن نفصل العلاج الروحي والنفسي عن العلاج الجسمي الفلوجي بشكل حدي، لأنهما أمران ممتزجان لا يمكن فرزهما عن بعض.

أولاً: كيفية العلاج الطبي للغيوبة.

هناك عدة مراحل من العلاج الطبي المستخدمة للمصابين بحالات الغيوبة، منها: تشخيص المريض، وعلاج الأمراض العارضة من خلال إعطاء مجموعة الأدوية والعقاقير الطبية حسب تقدير الأطباء وحالة المريض. ثم تقييم مستوى الوعي باستخدام المعلومات لقراءة المتغيرات الفيسيولوجية على المريض (Glasgow Coma Scale) وغيرها¹.

¹ Jerome B. Posner, Clifford B. Saper. et all. 2007. *Plum and Posner's Diagnosis of Stupor and Coma*. Contemporary Neurology Series. New York: Oxford University Press, Inc. 4th Edition. 309-320. Approach to management of the unconscious patient by a principles of emergency management such as ensure oxygenation, airway, and ventilation. Maintain the circulation, measure the glucose, lower the intracranial pressure, stop seizures, treat infection, restore Acid-Base balance, adjust body temperature, administer specific antidotes (e.g naloxone, flumazenil, etc), control agitation, protect the eyes.

وحيالاً لا توجد إلا علاجات محدودة لإيقاظ المصابين ببعض حالات الغيبوبة، إلا أن هناك إمكانية علاج لمنع المزيد من الضرر البدني للمصابين بحالات الغيبوبة¹. يبدأ التعامل مع حالات الغيبوبة بتشخيص الحالة بالفحص السريري الدقيق، وتحديد كونها حالة إغماء مؤقت يزول بزوال العارض الطارئ، أو حالة إغماء الكامل. ويتم تشخيص المريض من قبل المتخصصين من الأطباء لتحديد سبب الغيبوبة، ثم يبدأ علاج الأمراض العارضة وإعطاء الأدوية المناسبة حسب تقدير الأطباء وحالة المريض.

ثانياً: قياسات المتغيرات الفسيولوجية واستجاباتها من خلال استعمال معلومات محددة هناك العديد من المعلومات الفسيولوجية المستخدمة لقياس تطور وتحديد مدى عمق الغيبوبة. وهذه المعايير تشمل قياس معدل ضربات القلب، ومعدل التنفس، وضغط الدم، ودرجة تشبع الدم بالأكسجين، ومقياس جلاسكر كومبا.

قد يتطلب علاج الغيبوبة وضع الأنبوب في القصبة الهوائية للمريض عن طريق الفم، أو وضع المريض على جهاز التنفس الصناعي (ventilator) وقد تستلزم الفحوص تصوير المخ بالرنين المغناطيسي (MRI)، أو المسح بالتصوير المقطعي (CT) أو تخطيط كهربية الدماغ (EEG) للكشف عن أي خلل في نشاط الدماغ الكهربائي².

تاريخ 19 Feb 2012. <http://science.howstuffworks.com/environmental/life/human-biology/coma4.htm>.

التحديث:

تاريخ 19 Feb 2012. <http://science.howstuffworks.com/environmental/life/human-biology/coma4.htm>.

التحديث:

مقياس جلاسكو كوما (Glasgow Coma Scale) هي وسيلة لقياس مدى عمق الغيبوبة استناداً

إلى الملاحظات من فتح العين والنطق والحركة.¹

سلم جلاسكو لتقدير السبات	
فتح العينين (Eye-opening)	
٤	بشكل عفوي
٣	استجابة للكلام
٢	استجابة للألم
١	لا استجابة
الاستجابة الحركية الأفضل (Best Motor Response)	
6	يطيع
5	يحدد
4	يسحب
3	العطف الشاذ
2	استجابة انبساطية
1	لا استجابة
الاستجابة اللفظية (verbal response)	
5	متوجه
4	محادثة مشوشة
3	كلمات غير مناسبة
2	أصوات غير مفهومة

¹ تاريخ التحديث: ٢٢ مارس ٢٠١٢ <http://www.mediall1.com/Detail.aspx?IDArticle=1038>

1	لا استجابة
نتيجة السبات (E+M+V)	
3	الحد الأدنى
15	الحد الأعلى

ويظل التاريخ المرضي للحالة هو أحد أهم أدوات التشخيص علماً بأن المريض في تلك الحالة لا يمكن أن يكون مصدراً للمعلومات، وبالتالي تطرح الأسئلة على أفراد الأسرة، أو المقربين، أو أي شخص كان مع المريض قبل غيبوبته¹.

علاج الغيبوبة بالموسيقى

تناولت العديد من البحوث والدراسات العلمية استخدام العلاج بالموسيقى في حالات الغيبوبة، وتقييم الاستجابة بناءً على مقياس جلاسكو. وفي التجارب التي قام بها الباحثون فورميسانو (Formisano) وآخرون وجدوا تحسناً كبيراً على مستوى الوعي في حالات الغيبوبة التي عولجت بالموسيقى². وفي بحث آخر قام به (O.K Angela Lee) وآخرون وجدوا أن العلاج بالموسيقى يؤدي إلى إسترخاء المرضى³.

¹ Jerome B. Posner, Clifford B. Saper. et all. 2007. *Plum and Posner's Diagnosis of Stupor and Coma*. Contemporary Neurology Series. New York: Oxford University Press, Inc. 4th Edition. 318.

² Formisano, R. et al. (2001). *Active music therapy in the rehabilitation of severe brain injured patients during convalescence*. Ann Ist Super. Sanita , 37(4):627-630.

³ Lee, O.K. Angela et al. (2005) *Music and its effects on the physiological responses and anxiety levels of patients receiving mechanical ventilation: a pilot study*. J Clin Nursing, 14(5):609-620.

ثانياً: كيفية العلاج القرآني للغيبوبة والرقية به.

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (سورة الإسراء ١٧ : ٨٢). استناداً إلى هذه الآية الكريمة، ذكر كثير من العلماء إن (مِنَ) لبيان الجنس، وعلى هذا القول نقول بأن القرآن قليله وكثيره مؤثر، وكله شفاء من جميع الأمراض القلبية، والجسدية والروحية. وبعضهم يقولون (مِنَ) للتبعية، وقد نقل ابن عطية في تفسيره كلام القاضي أبو محمد حيث يقول: "وليس يلزمه هذا بل يصح أن يكون للتبعية بحسب أن إنزاله إنما هو لبعض، فكأنه قال (ونزل من القرآن) شيئاً شيئاً ما فيه كله (شفاء)". وبناءً على هذا القول يمكننا أن نقول إن كل آية من آيات القرآن تحوي قوة شفائية لبعض الأمراض، وهذا الشفاء له ضوابط وقواعد وأسس معينة يقوم عليها كما ورد في الرقية الشرعية وكما سبق شرحه في بعض مباحث هذه الرسالة.

ووردت في جريدة الجزيرة-الرياض، أكتبت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء أن القرآن الكريم كله شفاء للقلوب من الشك والنفاق وغيرهما، كما أنه شفاء للأجسام إذا رقي به عليها سواء كان ذلك بسورة كاملة أو بآيات منها. عموم قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ والرقية عند الحاجة مشروعة شرعها رسول الله ﷺ بفعله وقوله وإقراره كما ذكرنا في الفصل السابق.

^١ ابن عطية. أبو محمد عبد الحق بن غالب. ١٩٨٧م. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: إمام العلمي بفاس. د.م. د.ن. د.ط. ج ١٠. ص ٣٣٨.

^٢ <http://archive.al-jazirah.com.sa/2011jaz/dec/9/is1.htm> تاريخ التحديث: ٥ مارس ٢٠١٢.

بناء على هذا العرض، نستطيع أن نقول بأن القرآن كله شفاء كما أخبر الله تعالى في الآية المذكورة آنفاً. ومع ذلك فإن في القرآن آيات لها خاصية في العلاج بها، ولها تأثير في المرقى بها. ومن ذلك فاتحة الكتاب وأقره النبي ﷺ في الحديث ذكرنا سابقاً وقال: "وما أدراك أنها رقية"، ومنها آية الكرسي، والمعوذتان وغير ذلك. فهذا التخصيص هو من قبيل التبرك فيما تتضمنه الآية من معنى يتناسب مع حال المريض. وفي هذا المبحث سوف تتعرض الباحثة للقاعدة الأساسية لاختيار آيات محددة لكل مرض، والرقية الشرعية للمصابين بحالات الغيبوبة، والعلاج بالموجات الصوتية ومدى تأثيره بآيات القرآن الكريم.

القاعدة الأساسية لاختيار آيات محددة لكل مرض

السؤال المطروح هنا ما هو الأساس لاختيار مثل هذه الآيات لكل مرض؟ وكيف عرفنا أن هذه الآيات هي المناسبة لعلاج هذا المرض؟

يقول الشيخ مصطفى كمال البناء في كتابه (الطاقة الشفائية في القرآن الكريم): "لقد استندت على قاعدة أساسية لاختيار آيات محددة تتناسب مع المرض وهي أن يتناسب لفظ الآية القرآنية مع حالة المرض ولا يشترط أن يتناسب معنى وتفسير الآية مع هذا المرض. بل يمكن أن لا يكون هنالك أي علاقة بينهما سوى تناسب اللفظ مع حالة المرض". وهذا ما سوف تتعرض الباحثة له في الأمثلة التالية والتي وردت عن النبي ﷺ ومن بعده من السلف الصالحين.

١. يقول ابن كثير في تفسيره لسورة يس: عن عكرمة: قال أبو جهل: لمن رأيت محمداً

لأفعلن ولأفعلن فأنزلت: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْيُنِهِمْ أَغْشَاءً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾

١ البناء، مصطفى كمال. ٢٠١٠م. الطاقة الشفائية في القرآن الكريم لعلاج كافة الأمراض الروحية والعضوية. ص ٢٧٣.

وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٣٦﴾ (سورة يس ٣٦ :

٨-٩) قال: وكانوا يقولون هذا محمد. فيقول أين هو أين هو؟ لا يبصره^١.

٢. وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه قالت: لما نزلت سورة: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾

﴿ (سورة المسد ١١١ : ١) أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب، ولها ولولة، وفي يدها

فهر، وهي تقول: مُدْمًا أَبِينَا وَدِينَهُ قَلِينَا وَأَمْرَهُ عَصِينَا، ورسول الله ﷺ جالس في الحرم

ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله، قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن

تراك. فقال رسول الله ﷺ: "إنها لن تراني". وقرأ قرآنا اعتصم به، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا

قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿١١﴾ ﴾ (سورة الإسراء

١٧ : ١١). فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ فقالت: يا أبا بكر،

إني أخبرتك أن صاحبك مجاني؟ قال: لا ورب هذا البيت ما هجأك. فولت وهي تقول:

قد علمت قريش أبي ابنة سليلها^٢.

٣. قال كعب رضي الله عنه في هذه الآية: كان النبي صلى الله عليه و سلم يستتر من

المشركين بثلاث آيات: الآية التي في الأنعام ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي

ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ والآية التي في النحل ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَعَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَتْ

وَأَبْصَرَتْهُمْ ﴾ والآية التي في الجاثية: ﴿ أَلْقَيْنَا مِنْ آخِذٍ مِنْهُمْ هَمَزًا وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ

وَحَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَبْصُرْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

الآية فكان النبي ﷺ إذا قرأهن يستتر من المشركين. قال كعب رضي الله تعالى عنه:

فحدثت بمن رجلا من أهل الشام فأتي أرض الروم فأقام بها زمانا ثم خرج هارباً فخرجوا

^١ ابن كثير ٢٠٠٠م. تفسير القرآن العظيم. تحقيق: مصطفى السيد محمد. جيزة: مؤسسة قرطبة. ١٠١ ج ١١ ص ٢٤٦.

^٢ ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. ج ١٤ ص ٤٩٨.

في طلبه فقراً بمن فصاروا يكونون معه على طريقة ولا يبصرونه قال الثعلبي : وهذا الذي يروونه عن كعب حدث به رجلاً من أهل الري فأسر بالديلم فمكث زماناً ثم خرج هارباً فخرجوا في طلبه فقراً بمن حتى جعلت ثيابهم لتلمس ثيابه فما يبصرونه^١.

٤. وورد في السيرة النبوية العطرة في هجرة النبي ﷺ ومقام علي رضي الله عنه في فراشه قال: وخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده وأخذ الله عز و جل على أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات من يس: ﴿يَسْ ۖ وَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ ۖ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۖ﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿تَنْزِيلَ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۖ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه و سلم من هذه الآيات ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً انصرف إلى حيث أراد أن يذهب^٢.

وذكر الزركشي في كتابه البرهان تحت عنوان خواصه حيث يقول: "وحكى عن الشافعي رحمه الله أنه شكاً إليه رجل رمداً فكتب إليه في رقعته ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ ﴿فَعَلَقَ الرَّجُلُ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَبَرَأَ. وروى ابن قتبية قال كان رجل من الصالحين يحب الصلاة بالليل وثقل عليه، فشكا ذلك لبعض الصالحين فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقراً ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْثُ مَدَادًا لَكَلِمَاتُ رَبِّي لَكَلِمَاتُ الْخَرِّ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ ثم أضمر. في أي وقت أضمرت فإنك تقوم فيه، قال: ففعلت

^١ القرطبي. ٢٠٠٦م. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط ١.

ج ١٣. ص ٩٣.

^٢ القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. ج ١٣. ص ٩٤.

فَقَمْتُ فِي الْوَقْتِ الْمَعِينِ. قَالَ الْغَزَالِيُّ وَكَانَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ فِي أَصْبَهَانَ أَصَابَهُ عَسِرُ الْبُولِ فَكَتَبَ فِي صَحِيفَةِ الْبِسْمَلَةِ ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ ﴿كَادَكَ﴾ وَأَلْقَى عَلَيْهِ الْمَاءَ وَشَرِبَهُ فَيَسِرُ عَلَيْهِ الْبُولُ، وَأَلْقَى الْحَصَى. وَحَكَى الثَّعْلَبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿لَكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يَكْتُبُ عَلَى كَاغِدٍ وَيُوضَعُ عَلَى شِقِّ الضَّرْسِ الْوَجْعَ يَبْرَأُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى. وَيَحْكَى أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا الْقَاسِمِ الْقَشِيرِي رَأَى النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَالِي أَرَاكَ حَزُونًا؟ فَقَالَ: وَلَدِي قَدْ مَرَضَ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَالُ، فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ أَنْتَ عَنْ آيَاتِ الشِّفَاءِ ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَشِفَاءَ لَمَّا فِي الصُّدُورِ﴾ ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَمَّنَّا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَاتِ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَبَرَأَ.

ثُمَّ قَالَ الزَّرْكَشِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مُنْبَهًا عَلَى أَهْمِيَّةِ اعْتِقَادِ النِّفْعِ فِي ذَلِكَ مَعَ تَمَامِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَّا لَمْ يَنْتَفِعْ بِمَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ شِفَاءٍ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "تَنْبِيهِ: هَذَا النُّوعُ وَالَّذِي قَبْلَهُ لَنْ يَنْتَفِعَ بِهِ إِلَّا مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ قَلْبَهُ وَنِيَّتَهُ وَتَدَبَّرَ الْكِتَابَ فِي عَقْلِهِ وَسَمِعَهُ وَعَمَّرَ بِهِ قَلْبَهُ وَاعْمَلَ بِهِ جَوَارِحَهُ وَجَعَلَهُ سَمِيرَةً فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ وَتَمَسَّكَ بِهِ وَتَدَبَّرَ هُنَالِكَ تَأْيِيهِ الْحَقَائِقِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ كَانَ فَعْلُهُ مَكْذُوبًا لِقَوْلِهِ".^١

^١ الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. د.ت. البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: مكتبة دار التراث ج ١. ص ٤٣٤-٤٣٧.

فمن الأمثلة السالفة الذكر والأحداث التي حصلت مع النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم، وما حصل مع أئمة المسلمين حول استخدام الآيات القرآنية لمواضع عدة هو دليل كاف لإيضاح منهج اختيار الآيات القرآنية للعلاج والتي يتضمن معناها ما يتناسب مع حال المرض. وقد تحدثنا سابقاً على جواز الرقية ما لم يكن فيها شيء من شرك أو كفر. وتميل الباحثة على أن ما ثبت بالتجربة في الرقية لا بأس به استناداً إلى فعل الصحابة في الحديث الذي ذكرته سابقاً حول قراءة أحد الصحابة لسورة الفاتحة على المملوغ لرقيته، وإقرار النبي ﷺ لهم.

الرقية الشرعية لعلاج حالات الغيبوبة

كما بينا سابقاً أن أفضل شخص لقرأة القرآن للعلاج هو المريض نفسه، لأن الأبحاث الجديدة في هذا المجال أثبتت أن صوت المريض نفسه هو الأكثر تأثيراً على مرضه. ولكن قد يكون المريض في حالة صعبة فلا يستطيع التركيز والقراءة الصحيحة فيمكن الاستعانة بشخص يقوم بالقرأة عليه كما هو الحال للمصابين بحالات الغيبوبة.

كما أن حالات الغيبوبة أو فقدان الوعي تحتاج إلى متابعة طبية لتحديد سببها وعلاجها دوائياً كما تحدثنا آنفاً. أما إن تكررت عملية الإغماء أو لم تستطع الحلول الطبية علاج الشخص المغمى عليه فإنه يمكن الاستعانة بالآيات القرآنية التي تحدثت عن الإحياء^١. ولبدء العلاج بالقرآن من هذا النوع من المرض يجب اتباع ما يلي:

^١ البناء، مصطفى كمال. ٢٠١٠م. الطاقة الشفائية في القرآن الكريم لعلاج كافة الأمراض الروحية والعضوية. ص ٣٤٨-

١. التأكد أولاً من أن سبب هذا الإغماء أو الغيبوبة ليس بمرض روحي (ناتج عن حسد أو سحر أو مس شيطاني). ويتم الكشف عن ذلك وأعراضه وعلاجه بالرقية الشرعية الخاصة بالأمراض الروحية حيث أن مريض الصرع الروحي يتأثر عند سماع الرقية الشرعية. وقد يدخل في غيبوبة أثناء جلسة العلاج وقد يستيقظ منها^١.

٢. البدء بالعلاج بقراءة الرقية الشرعية المذكورة في الأسفل على الشخص المغمى عليه مع التركيز بتكرار الآيات القرآنية التي تحتها خط لمدة ساعة واحدة على الأقل يومياً، وإن زادت المدة كان أفضل وأقرب للشفاء بإذن الله تعالى

والآيات القرآنية لعلاج حالات الغيبوبة هي ما يلي:

١. سورة الفاتحة (٧ مرات)
٢. قراءة آية الكرسي (١٠ مرات)
٣. ﴿ ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَيْكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ كُنَّا نَسِيًّا أَوْ أَخْطَاةً رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (سورة البقرة: ٢ : ٢٨٥ - ٢٨٦)

٤. ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ (سورة الكهف: ١٨ : ١٢)

^١ نفس المرجع. ص ٣٤٩.

٥. ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ

قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْتِغُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا

فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٨﴾ (سورة الكهف : ١٨ : ١٩)

٦. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خُشْيَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا

لَمُخْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ (سورة فصلت : ٤١ : ٣٩)

٧. ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سُبُعُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢٠﴾ (سورة طه : ٢٠ : ٢١)

٨. ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٢٢﴾ (سورة الحج : ٢٢ : ٦٦)

٩. ﴿تَبَارَكَ الَّذِي تَوَلَّى الْفُرْقَانَ عَلَى عِبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ (سورة

الفرقان : ٢٥ : ١-٢)

١٠. ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بِيَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿١٠﴾ لِنُخْطِ

بِهِ بَلَدَةً مَيَّاتًا وَنُسْقِيهِهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْفَاسًا كَثِيرًا ﴿١١﴾ (سورة الفرقان : ٤٨-٤٩ : ٢٥)

١١. ﴿وَأَيُّهُمْ هُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٦﴾ (سورة يس : ٣٦ : ٣٣)

١٢. ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿١٠﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا

أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ (سورة يس : ٣٦ : ٧٩-٧٨)

١٣. ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ (سورة

الأعلى : ٨٧ : ١-٣)

١٤. ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾

(سورة الإخلاص ١١٢ : ١-٤) (٣ مرات)

١٥. ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ

فِي الْعُقَدِ ۝ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝﴾ (سورة الفلق ١١٣ : ١-٥) (٣ مرات)

١٦. ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَهِ النَّاسِ ۝ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝

الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝﴾ (سورة الناس ١١٤ : ١-

٦) (٣ مرات)

١٧. أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفي

١٨. بسم الله (٣ مرات)، أعوذ بعة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر

١٩. اللهم رب الناس اذهب البأس واشفي أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك

المبحث الثاني: أدوات التأثير بالقرآن الكريم ووظائفها

أولاً: نزول القرآن الكريم في طبيعة سمعية

لا بد هنا الإشارة إلى المحيط الأولي والمجتمع الذي نزل فيه القرآن الكريم إذ أنه تميز بطبيعة سمعية أكثر منها بصرية. فليس هناك في الصحارى منبهات بصرية بقدر ما فيها من منبهات سمعية. كما كان مجتمع ذلك العصر مجتمعاً سمعياً أكثر منه بصرياً. فالآيات القرآنية الكريمة كانت تسمع وتحفظ في الصدور وتنقل عن طريق الرواة. كما أن العرب لم يدونوا شعرهم الغزير حتى وقت متأخر. ولكنه كان يحفظ وترويه الرواة ويلقى في الأسواق والمناسبات فيستمع الكل إليه.

ولقد قدم السمع في تأثره بالقرآن على البصر لعدة أسباب: أولها: أن الله تعالى قدّم السمع قبل البصر في القرآن، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۖ﴾ (سورة الإسراء ١٧: ٣٦). فهو التزام بأسلوبه. وثانيها: أن الرسول ﷺ قد تلقى القرآن أولاً من جبريل سماعاً ثم قرأه بعد ذلك وفي سماعه ﷺ. ثالثها: أن السامع للقرآن أكثر تأثراً من قارئ، وذلك لانشغال قارئ بجودة التلاوة وأحكامها^١.

ثانياً: أدوات التأثير بالقرآن

هذا الإعجاز له أدوات يظهر عليها التأثير واضحاً دون غموض، وهذه الأدوات ذكرها الله تعالى في القرآن في غير موضع منه، وهي: السمع والبصر والفؤاد/القلب. قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۖ﴾ (سورة الإسراء ١٧: ٣٦)، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفِيدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۖ﴾ (سورة النحل ٣١: ٧٨).

فالسمع هو الأداة الأولى التي نص عليها القرآن، لأنه أول شيء يصل للإنسان، والعلاج عن طريقه.

^١ السعيد، مصطفى. ٢٠٠٩م. الإعجاز التأثري للقرآن الكريم وأثره في الدعوة إلى الله تعالى. القاهرة: شركة أجيالنا. ط ١.

وأما البصر: فهو الأداة الثانية، حيث يستقبل المؤثر بعد السمع مباشرة، بمعنى: إذا طرق السمع آية مؤثرة، تحدد العين فوراً تذهب لتستكشف وتستجلي ما أتى لها من مؤثرات.

وأما القلب: فهو آلة التأثير الحقيقية للقرآن الكريم، بل هو المعيار الذي يقاس به مدار التأثير بالقرآن، فمن أراد أن يقول: إني تأثرت بالقرآن فعليه أن يراجع قلبه، فإن وجد رقةً وحنيناً وبكاءً فقد تأثر، وإلا فلا. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ﴾ (سورة الأنفال ٨: ٢) وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۖ قَوْلٌ لِّلنَّفْسِئَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَتْكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾ (سورة الزمر ٣٩: ٢٢) وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَلَّا لَتَنصُرَنَّ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ۝ ﴾ (سورة الأعراف ٧: ١٧٩)

فالملاحظ في الآيات الكريمة أن الله ذكر فيها أن الفقه والفهم والعقل كلها معان لعمل القلب. ومن هنا كان الإنسان مسئولاً عن كل هذا بين يدي الله، ولذا قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَندهً مَّسْئُولًا ۝ ﴾ (سورة الإسراء ١٧: ٣٦). وعلى ذلك تكون أدوات التأثير بالقرآن ثلاث أدوات إجمالاً ألا وهي: السمع والبصر والقلب. فلتتحدث عنها كما بدأت بها الآيات القرآنية وفق الآتي:

أ. السمع. وذلك لأنه أول شيء يصل للإنسان حيث يصل عن طريق الأذن، فالسمع عمل الأذن أو وظيفته الأذن. السمع حس الأذن، وفي القرآن: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا

لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ (سورة ق ٥٠ : ٣٧). وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ۚ إِنَّ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿٣٨﴾ (سورة النمل ٢٧ : ٨١) أي لم تسمع إلا من يؤمن بها، وأراد بالإنساع ها هنا القبول والعمل بما يسمع، لأنه إذا لم يعمل به فهو بمنزلة من لم يسمع^١. قال ابن القيم: "أمر الله بالسمع في كتابه وأثنى على أهله خيراً، وأخبر أن لهم البشرى حيث قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ أَبَدًا ﴾ ﴿٣٩﴾ (سورة الزمر ٣٩ : ١٧-١٨). ومن ثم فالسمع رسول الإيمان إلى القلب وداعيه ومعلمه، وكم في القرآن من قوله تعالى: (أفلا يسمعون). فالسمع أصل العقل وأساس الإيمان الذي ابتنى عليه، وهو رائده ووزيره ولكن الشأن كل الشأن في المسموع فمنهم من يسمع بطبعه وهواه فهذا حظ من السمع ما وافق هواه، ومنهم من يسمع بالله ومنهم من يسمع بالله لا يسمع بغيره، والمقصود أنه سماع خاصة الخاصة المقربين وهو سماع القرآن إدراكاً وفهماً وتدبراً إنه سماع الآيات. وهذا السماع يحدوا القلوب إلى جوار علام الغيوب"^٢. ومرتبة السماع مدارها على إيصال المقصود بالخطاب إلى القلب ويترتب على هذا السماع سماع القبول. فهو إذن ثلاث مراتب: سماع الأذن، وسماع القلب، وسماع القبول والإجابة^٣.

^١ ابن منظور. لسان العرب. ج ٨. ص ١٦٨. باب س فصل ع.

^٢ ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبو بكر. ١٩٩٩م. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. نقلت: محمد عبد الرحمن المرعشلي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط ١. ج ١. ص ٣٦٤.

^٣ المرجع نفسه. ج ١. ص ٤٥.

ب. **البصر.** وهو الأداة الثانية بعد السمع حسب الترتيب القرآني حيث تستقبل المؤثر بعد السمع مباشرة، بمعنى إذا طرق السمع آية مؤثرة من آي الذكر تجد العين فوراً تذهب لتستكشف وتستجلي ما أتى لها من مؤثرات. البصر يعني به حاسة الرؤية التي بما يدرك الإنسان الأشياء من حوله وتجمع على أبصار. ولقد ذكر البصر عقيب السمع مباشرة، وهذا يدل أيضاً على أنه أداة من أدوات التأثير بالقرآن، وهذا من إعجاز القرآن.

ت. **القلب.** هو آلة التأثير الحقيقي للقرآن الكريم. القلب يعني تحول الشيء عن وجهه، يقال قلب الشيء أي حوله. "وقلب لك الشيء أي بحثه ونظر في عواقبه، ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ اِنتَعَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ (سورة التوبة ٩: ٤٨) أي تصرفوا فيها وتقلب أي تتحول. ومنه قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ جِدْرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (سورة النور ٤: ٣٧) فالقلب يعني التحول^١.

وفي الاصطلاح: "القلب لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان ويسميتها الحكيم النفس الناطقة والروح، وهي المدرك من الإنسان وهي المخاطب والمطالب والمعاتب"^٢.

يقول الإمام الغزالي في الإحياء: "ورد لفظ القلب في القرآن والسنة كثيراً، والمقصود به هو المعنى الذي يفقه من الإنسان، وبه يعرف حقيقة الأشياء"^٣. والقلب بمثابة المرآة التي تنعكس فيها

^١ ابن منظور. لسان العرب. ج ١. ص ٦٨٨. باب القاف، فصل الرائ.

^٢ الجرجاني، علي بن محمد بن علي. ١٤٠٥هـ. التعريفات. تحقيق: إبراهيم الأبياري. بيروت: دار الكتاب العربي. ط ١.

ج ١. ص ٢٢٩.

الأمر المؤثرة في الخارج. ولعل المقصود من كلام الغزالي هو أن الحديث عن القلب لا يعني مطلقاً الحديث عن قطعة اللحم الموجودة داخل الجسد، ولكن الغرض من الإطلاق هو وظيفة القلب التي تحدث عنها الله تعالى في القرآن: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ (سورة الأعراف ٧: ١٧٩). فالقلب إذن قطعة من الجسم لها وظيفتها التي تؤديها، وهي العقل، والفهم، والفقہ. فقد دلت على ذلك نصوص كثيرة، منها مما هي صريحة الدلالة على المسألة، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ (سورة الكهف ١٨: ٥٧) وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ هُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (سورة الحج ٢٢: ٤٦). وقوله تعالى: ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة التوبة ٩: ٩٣). وأكد ابن عاشور في تفسيره على ما نصه: "أسند الوجه إلى القلوب لأن القلب يكثر إطلاقه في كلام العرب على إحساس الإنسان وقرارة إدراكه، وليس المراد به هذا العضو الصنوبري الذي يرسل الدم إلى الشرايين.."^١

^١ الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. د.ط. إحياء علوم الدين. بيروت: دار الكتب العلمية. ج ٢، ص ٦٠. ذكر الإمام الغزالي عن القلب بشكل دقيق. بل جعله فصل مستقل يسمى "عجائب القلب". وهذا بحث رائع للغاية حتى قام الأطباء وعلماء علم النفس بملاحظة علاقة وثيقة بين القلب والدماغ حيث يتألف في القلب ٤٠٠٠٠ خلية عصبية، ما يسميه "العقل" موجود في مركز القلب الذي يقوم بتوجيه الدماغ لأداء مهامه. أنظر:

Charlette Mikulka. 2011. *Peace in the Heart and Home*. Newton: Kittacano Press. page 120-121.

^٢ ابن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. ج ٥ (ج ٩). ص ٢٥٦.

الحقائق العلمية عن القلب

منذ ثلاثين عاماً بدأ الباحثون بملاحظة علاقة بين القلب والدماغ. ولاحظوا أن للقلب دوراً في فهم العالم حولنا. وبدأت القصة عندما لاحظوا علاقة قوية بين ما يفهمه ويشعر به الإنسان وبين معدل ضربات القلب وضغط الدم والتنفس في الرئتين. ومن هنا بدأوا يلاحظون أن القلب يؤثر على الدماغ. والأبحاث الجارية اليوم تكشف لنا أن القلب ليس مجرد مضخة للدم، بل يقوم بتخزين المعلومات ويضخ الأوامر لجميع أجزاء الجسم ويشرف على عمل الدماغ، أي أن القلب يهيمن على الجسد¹.

القلب والمشاعر

نستعرض أحدث الأبحاث العلمية حول ظاهرة تغير الحالة النفسية للمريض بعد عملية زرع القلب. وهذه التغيرات النفسية عميقة لدرجة أن المريض بعد أن يتم استبدال قلبه بقلب طبيعي أو صناعي، تحدث لديه تغيرات نفسية عميقة، بل إن التغيرات تحدث أحياناً في معتقداته، ومشاعره، وما يحبه ويكره، بل وتؤثر على حياته أيضاً².

القلب والإدراك

ويتحدث الباحثون أيضاً عن دور أساس للقلب في الإدراك والفهم والفرق لأن القلب يؤثر على خلايا الدماغ ويوجهها ، ولذلك فإن القرآن ربط بين القلب والعلم كما أسهبنا في الآيات السالفة

¹ Paul Pearsall, Gary E.Schwartz, Linda Russek. Nexus Magazine. Volume 12. No:3. April-May 2005. *Organ Transplant and Cellular Memories*.

² Journal of Near-Death Studies. Spring 2002. (3)20. *Changes in Heart Transplant Recipients that Parallel the Personalities of Their Donors*. Paul Pearsall, Gary E.R. Schwartz, Linda G.S Russek. Page 191-194. Human Sciences Press, Inc.

الذكر. البروفسور (Gary Schwartz) اختصاصي الطب النفسي في جامعة أريزونا، والدكتورة (Russek Linda) يعتقدان أن للقلب طاقة خاصة بواسطتها يتم تخزين المعلومات ومعالجتها أيضاً. وبالتالي فإن الذاكرة ليست فقط في الدماغ بل يكون القلب محركاً لها ومشرفاً عليها. وقد قام الدكتور (Schwartz Gary) ببحث ضم أكثر من ٣٠٠ حالة زراعة قلب، ووجد بأن جميعها قد حدثت لها تغيرات نفسية جذرية بعد العملية^١.

وأكد بعض الباحثين أن المعلومات تتدفق من القلب إلى ساق الدماغ، ثم تدخل إلى الدماغ عبر ممرات خاصة وتقوم بتوجيه خلايا الدماغ لتتمكن من الفهم والاستيعاب. وهذا يعتبر من أحدث الأبحاث التي نشرت مؤخراً. وأثبت الباحثان (Rollin Mc Carty) و (Mike Atkinson) أن هنالك علاقة بين القلب وعملية الإدراك. وذلك من خلال قياس النشاط الكهربائي للقلب والدماغ أثناء عملية الفهم أي عندما يحاول الإنسان فهم ظاهرة ما، وجدوا أن عملية الإدراك تناسب مع أداء القلب. كلما كان أداء القلب أقل كان الإدراك أقل^٢. ولذلك فإن القرآن ربط بين القلب والعلم. قال تعالى: ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة التوبة ٩: ٩٣) وقوله: ﴿هُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ﴾ (سورة الحج ٢١: ٢٦) وغيرهما.

^١ Journal of Near-Death Studies. Spring 2002. (3)20. *Changes in Heart Transplant Recipients that Parallel the Personalities of Their Donors*. Paul Pearsall, Gary E.R. Schwartz, Linda G.S. Russek. Page 191-194. Human Sciences Press, Inc.

^٢ Rollin Mc Carty. 2003. *The Scientific Role of Heart in Learning and Performance*. HeartMath Research Center, Institute of HeartMath: Boulder Creek, CA. no publication: 02-030. Page: 9.

القلب والكذب

وقد حدد القرآن منطقة الكذب ومنطقة الصدق. وتؤكد التجارب الطبية أن مركز الكذب هو في منطقة الناصية في أعلى مقدمة الدماغ^١. وأن هذه المنطقة تنشط بشكل كبير أثناء الكذب. أما المعلومات التي يحتجزها القلب فهي معلومات حقيقية صادقة. وهكذا فإن الإنسان عندما يكذب بلسانه، فإنه يقول عكس ما يحتزنه قلبه من معلومات. وبذلك قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِالْأَلْسِنَةِ مِمَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (سورة الفتح ٤٨ : ١١). فاللسان يتحرك بأمر من الناصية في الدماغ، ولذلك وصف الله هذه الناصية بقوله تعالى: ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ (سورة العلق ٩٦ : ١٦).

ومن خلال ما سبق بيانه عن أدوات التأثير بالقرآن، وترى الباحثة إن دور هذه الحواس من السمع والبصر والقلب في إدراك التأثير أمر يؤكد القرآن وبنه عليه تنبيهاً عاماً في مواضع جمعت بينهم مثل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (سورة النحل ١٦ : ٧٨). والمتأمل ما سبق يجد أن القلب في القرآن عبارة عن عالم كبير قد اتسعت معانيه وتعددت مراميها، ومن ذلك ما يلي^٢:

١. أن القلب محل التأثير ولتأثير وهذا واضح من معظم الآيات السابقة ومنها قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ قُلُوبٌ أَفْئِدَةٌ﴾ (سورة محمد ٤٧ : ٢٤).

^١ خطبة الجمعة - الخطبة ١١٢٨ : خ ١ - آيات الله في القلب ، خ ٢ - أهمية القلب في الإيمان والعقيدة. لفظة

الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٩-١١-٠٦.

<http://www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art=43&id=44&sid=46&ssid=48&ssid=49>

^٢ السعيد، مصطفى. الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم وأثره في الدعوة إلى الله تعالى. ص ١٢٦-١٢٧.

٢. القلب وعاء التدبر والاتعاظ وأخذ العبرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ

كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝﴾ (سورة ق ٥٠ : ٣٧).

٣. القلب محل العلم والقرآن يشيد بهذا ويذكره في أكثر من موضع، قال تعالى: ﴿

كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾ (سورة الروم ٣٠ : ٥٩).

٤. القلب محل الفهم والفقه ومن ثم يعلم أن الفهم أول مراحل التأثير بآي القرآن

وهذه مرتبة علياً من مراتب التأثير بالقرآن، بل إن الأعجب من ذلك أن البعض يقرأ

القرآن ولا يفهم معناه ويتأثر به وهذا من سر إعجازه.

ثالثاً: العوامل المؤدية إلى عدم الإدراك السمعي

ويشير القرآن إلى مجموعة من العوامل المؤدية إلى عدم الإدراك السمعي مما يؤثر على التعلم بشكل سلبي، ومنها:

١. الحيلولة بين مصدر الصوت أو المنبه (المثير) الصوتي وبين وصوله إلى الأذن ومن ثم أجهزة

السمع الداخلية، فلا تصل الموجات الصوتية في هذه الحالة إلى الأذن الخارجية

فالوسطى فالداخلية. وفيحالة حدوث ذلك فإنه يتعذر سماع الإنسان للأصوات، سواء

كان ذلك الحاجز مادياً أم معنوياً: ﴿إِنَّهُمْ عَنْ السَّمْعِ لَمَعُولُونَ ۝﴾ (سورة الشعراء

٢٦ : ٢١٢). وكثيراً ما يمر الإنسان بمثل هذه الحيرة عندما لا يفهم بما يدور حوله أو

عندما ينشغل بأمور هي في نظره أكثر أهمية، أو عندما يتراءى له أن ما يقال لا يشتمل

على الإثارة اللازمة لإيقاظ حاسة السمع لديه.

^١ القذافي، رمضان محمد. ١٩٩٩م. علم النفس في الإسلام. مكتب الإعلام والبحوث والنشر بجمعية الدعوة الإسلامية

العالمية: دار الكتب الوطنية بتغازي. ط١. ص١٧٤-١٧٥

٢. كراهية أن يسمع الشخص ما يقال حيث يعمل على التهرب من المنبه الصوتي ويتصامم عن سماعه وكأنه لم يسمع. وفي مثل هذه الحالة يعتمد الإنسان إلى إغلاق أذنيه لسد الطريق على الإشارة الصوتية فلا يسمع أو يفهم ما يقال، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرَافٌ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝﴾ (سورة لقمان ٣١: ٧) وقوله تعالى: وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرَبُوا وَاسْتَكْبَرُوا ۖ وَاسْتَكْبَرُوا ۖ وَاسْتَكْبَرُوا ۖ (سورة نوح ٧١: ٧).

٣. الإعراض عن سماع ما يقال لأي سبب من الأسباب مما يحول دون فهم ما يقال من حديث أو تسجيله بمراكز الذاكرة. بالمخ رغم بيانه ووضوحه حتى ليخيل للرائي أن السامع قد أصابه الصمم فلا تصل الأصوات إلى مسامعه. وتحدث مثل هذه الحالات في كثير من المواقف التي قد تتعرض فيها المصالح الشخصية للخطر، أو التي تؤدي فيها المعلومات الجديدة إلى حدوث صراع نفسي لدى السامع، قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝﴾ وقالوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّا نَحْمِلُونَ ۝﴾ (سورة فصلت ٤١: ٤-٥).

٤. التكبر والشعور بالعظمة والاستخفاف بالمحدث مما يحول دون الالتفات إليه أو الإنصات له. وبالرغم من تمتع السامع في مثل هذا الموقف بالسمع وغيره من أدوات الحس والتفكير إلا أن ذلك لا يفيد في شيء لأنه يصبح في حكم الأصم في هذه الحالة فلا يعي أو يدرك شيئاً، قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُعْجِزَةٌ فِي الْآرْضِ وَلَا كَانَ لَهُمْ مِن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ۚ يَضْعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ۝﴾ (سورة هود ١١: ٢٠).

٥. التغافل وتجاهل الحديث وعدم الاهتمام به لعدم رغبة السامع في المشاركة حتى ولو

بالإنصات. وفي مثل هذه الحالة يقيم السامع حاجزاً نفسياً يحول بينه وبين وصول ما يقال إلى أسماعه، مثل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْمَعُونَ﴾ (سورة الكهف ١٨ : ١٠١).

رابعاً: الطريقة الصحيحة لاستخدام السمع

أن من أولى أهداف الجهاز السمعي الإنصات إلى أوامر الله ونواهيه، واستخدام أجهزة السمع في طاعة الله، فإذا ما اتبع الإنسان هذا المسلك السليم فسوف يكون مقدوره الانتفاع بالمعلومات التي يتم سماعها وتوظيفها في مرضاة الله ولكي يتحقق ذلك فلا بد من أن يتوفر للإنسان شيان هما الوعي والإدراك من جهة، وحضور القلب من جهة أخرى. فقد يحاول الإنسان الإنصات غير أن انشغاله ببعض الأمور الخاصة قد يفسد عليه انتباهه فيسمع بلا وعي بسبب شرود ذهنه وغياب قلبه. ويشير القرآن إلى المواقف التي تحتاج إلى الوعي كأساس للاستفادة مما نسمعه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (سورة ق ٥٠ : ٣٧) وقوله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ (سورة الحاقة ٦٩ : ١٢) وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (سورة الأعراف ٧ : ٢٠٤).

أما في حالة اتجاه الإنسان إلى توظيف سمعه في غير ما يرضى الله، فإن ثماره تكون الخسران المبين. وتؤدي مثل هذه الحالات إلى الجحود بنعم الله مثلما حدث مع الأمم السابقة كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا

أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْهَدُهُمْ مِّنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ ﴿

(سورة الأحقاف ٤٦ : ٢٦).

كما يتطلب استخدام السمع بشكل صحيح أن ينتهي الإنسان عن قول الزور وإدعاء سماع ما لم يسمع أو يعلم لأنه مسؤول عن كل حرف يقوله، وسوف يسأله الله عن ذلك يوم القيامة حيث تنطق حواسه فتخبر الله عما فعل صاحبها بها وعن كيفية استخدامه لها: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ﴿٢٦﴾ (سورة الإسراء ١٧ : ٣٦). وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا إِلَهُكُمُ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْمَعُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (سورة فصلت ٤١ : ٢١-٢٢). وهنالك بعض الدراسات الطبية تشير إلى أن الإنسان بعد ولادته يكون دماغه مبرمجاً على الأشياء الحسنة مثل الصدق وحب الخير وعدم ارتكاب الأخطاء. فقد أجرى العلماء تجارب على أناس يرتكبون أخطاء فوجدوا أن مناطق محددة في الدماغ تنشط وتجرى فيها كمية أكبر من الدم، بعكس الإنسان الذي يقوم بعمل صحيح فإنه لا يتطلب أي طاقة تذكر، أي أن الأخطاء بأنواعها تتطلب طاقة أكبر من الدماغ، وهذا ما جعل العلماء يؤكدون بأن النظام الافتراضي للدماغ هو الميل لعدم ارتكاب الأخطاء، أي أن الدماغ مبرمج على القطعة السليمة التي فطر الله الناس عليها. ويقول العلماء اليوم إن النظام الافتراضي للدماغ هو الصدق، فقد بينت التجارب الحديثة باستخدام

¹ Carl Patricia G. O'Brien, Winifred Z. Kennedy et all. 2008. *Psychiatric Mental Health Nursing: An Introduction to Theory and Practice*. Canada: Jones and Bartlett Publishers, Inc. p85.

² Rod Plotnik and Haig Kouyoumdjian. 2011. *Introduction to Psychology*. Canada: Cengage Learning. 9th edition. 371-372.

جهاز المسح بالرنين المغناطيسي (Functional Magnetic Resonance Imaging) على الدماغ أن الإنسان عندما يصدق فإن دماغه لا يصرف أي طاقة تُذكر، ولكن حين يكذب فإنه يصرف طاقة كبيرة^١.

إذن الأخطاء والكذب والأعمال السيئة تؤثر في عمل الدماغ وترهقه وتعب خلاياه لأن الخلايا تقوم بأعباء كبيرة في هذه الحالة، ومع مرور الزمن تتراكم هذه المتاعب وتسبب للخلايا خللاً في نظام عملها. وتسبب الكثير من الأمراض النفسية والجسدية، ولا بد من إعادة التوازن إلى هذه الخلايا، وأفضل طريقة هي "تغذيتها" بعلاوة القرآن الذي فُطرت عليه أصلاً.

خامساً: حكم تقديم السمع على البصر في القرآن

وقد ذكر الشيخ الشعراوي بحكمة تقليم السمع على البصر في القرآن الكريم حيث يقول: "لقد قدم الله سبحانه وتعالى السمع على البصر؛ لأنه أول ما يؤدي وظيفته في الدنيا؛ ولأنه أداة الاستدعاء في الآخرة؛ لأن الأذن لا تنام أبداً. ومن هذه الحكم أيضاً:^٢

الحكمة الأولى: إن السمع أول عنصر يؤدي وظيفته في الدنيا، فالطفل ساعة الولادة يسمع ولكن العين لا تؤدي مهمتها لحظة مجيء الطفل في الدنيا، فإذا جلس بجوار طفل ولد منذ ساعات وأحدثت صوتاً مزعجاً فإنه ينزعج ويبكي، ولكنك إذا قربت يدك من عين الطفل بعد الميلاد مباشرة فإنه لا يتحرك ولا يحس بالخطر.

^١ Carl Patricia G. O'Brien. *Psychiatric Mental Health Nursing: An Introduction to Theory and Practice*. p85.

^٢ الشعراوي، الشيخ محمد متولي. ٢٠٠٤م. المعجزة الخالدة. القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي. ط ١. ج ١. ص ٨٥.

الحكمة الثانية: وإذا نام الإنسان فإن كل شيء يسكن فيه إلا سمعه، إنك إذا أردت أن توقظ النائم ووضعت يدك قرب عينه فإنه لا يشعر، ولكنك إذا أحدثت ضجيجاً بجانب أذنه فإنه يقوم من نومه فرعاً.

الحكمة الثالثة: أن الأذن هي الصلة بين الإنسان والدنيا، الله سبحانه تعالى حين أراد أن يجعل أهل الكهف في نوم مئآت السنين ضرب على آذانهم قال تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ (سورة الكهف ١٨ : ١١). عندما تعطل السمع استطاعوا النوم مئآت السنين دون أي إزعاج، ولذلك قدمه الله سبحانه وتعالى^١.

ومن جهة أخرى، نلاحظ كلمة السمع دائماً تأتي مفردة، وكلمة البصر مجموعة. وكان من المفروض أو المنطقي أن يكون هناك سمع وبصر، أو أسمع وأبصار، ولكن الله بهذا التعبير أراد أن يكشف لنا دقة القرآن الكريم. فالسمع حاسة يتحكم فيها الإنسان بإرادته ولكن الأذن ليس لها اختيار في أن تسمع أو لا تسمع. فأنيت في حجرة يتكلم فيها عشرة أشخاص تصل أصواتهم جميعاً إلى أذنك سواء أردت أم لم ترد. بينما أنت تستطيع أن تدير بصرك فترى منهم من تريد أن تراه ولا ترى من لا تريد رؤيته. إذن فالأبصار تعدد، ولكن بالنسبة للسمع فنحن جميعاً ما دمنا جالسين في مكان واحد، فكلنا نسمع نفس الشيء. ومن هنا يختلف البصر وتوحد السمع والأذن مفضلة على العين؛ لأنها لا تنام والشيء الذي لا ينام أرقى في الخلق من الشيء الذي ينام.

^١ المرجع نفسه ، ص ٨٥.

سادساً: الدلالات التربوية والتعليمية وراء تقديم ألفاظ السمع والبصر في ضوء الإعجاز

التأثيري للقرآن الكريم.

وقد ترافقت كلمتا السمع والبصر في ٢٨ آية كريمة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (القرآن. الإنسان ٧٦: ٢). وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ۚ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (القرآن. السجدة ٣٢: ٩). وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (القرآن. المؤمنون ٢٣: ٧٨).

فلا بد أن نتساءل هل لهذا السبق^١ من دلالة خاصة؟ وما السر والحكمة من وراء ذلك التقدّم^٢؟ تعمل الأذن بجميع أجهزتها كمستقبل للمنبهات (المثيرات) الحسية السمعية وكحلقة اتصال بين العالم الخارجي والجهاز العصبي الذي يتولى سلطة توجيه الكائن في استجابته للمنبهات البيئية. وتتولى الأذن الداخلية مسؤولية تحويل الموجات الصوتية إلى موجات كهربائية تصل إلى المخ وتؤدي في النهاية إلى ما يعرف بالإدراك السمعي، وهو ما يشير إليه القرآن في الآيات التالية: ﴿

^١ عبد الباقي، محمد فؤاد. ١٩٩٤م. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. د.م. دار الفكر. ط ٤. ص ٤٥٤-٤٥٨.

^٢ ومن أساليب القرآن البلاغية تقلص كلمة أو تأخير لعلها وحكمة. المتدبر لهذه الآيات الكريمة يلمس فيها أسرار الإعجاز ولطائف البيان ظاهرة بينة. نجد السمع يقدم على البصر في القرآن كله سواء كان ذلك من أوصاف الله تعالى، أم من أوصاف الناس التي أنعم الله بها عليهم أنظر: عباس، فضل حسن. إعجاز القرآن الكريم. ص ٢١٢-٢١٣. بدوي، أحمد. أحمد. ١٩٥٠م. من بلاغة القرآن. القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر. ص ١١٢-١١٧.

^٣ وتجدر الإشارة إلى أن الباحثة لدى رجوعها إلى التفاسير القديمة والحديثة للقرآن الكريم مثل تفسير ابن كثير، والنسفي، والقشيري، والطبري والسمرقندي لم تبحث في مسألة تقدم السمع على البصر والحكمة من هذا الترتيب اللفظي إلا أشار أحد التفاسير الحديثة (في رحاب تفسير) للشيخ عبد الحميد كشك إلى هذه المسألة. وكذلك قد أفادت الباحثة من كتابات الأطباء الباحثين والعلماء الذين تناولوا هذه المسألة.

أَقْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ هُتَمَ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّمَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿١٦﴾ (سورة الحج ٢٣ : ٤٦).

وتعتبر عملية الإدراك بوابة التعلم، فما يمكن إدراكه يصبح سهل التعلم، وما لا يمكن إدراكه يصعب تعلمه وقد يستحيل بعض الأحيان. ويشكل الإدراك السمعي جزءاً هاماً من جملة العوامل المؤثرة في التعلم. فنحن لا نتعلم كل ما نسمعه وإنما نختار منه، وبشكل لا شعوري، كل ما يهمنا فنسمح له بالمرور خلال عدة عمليات إلى أن يتم تسجيله بمركز الذاكرة بالمخ. أما ما لا يهمنا فإنه يتم بشكل سريع من خلال مسارات جانبية ليأخذ طريقه من حيث أتى دون أن يمر على الذاكرة أو يسجل هناك. أي أن السامع في الحالة الأخيرة لا ينتفع بما وصل إلى مسامعه.^١ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ هُم قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعِينٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَآلَ النَّمْلِ هُم أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُم الَّغَافِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ (سورة الأعراف ٧ : ١٧٩).

اتضح لنا أن جهاز السمع يباشر وظيفته قبل جهاز البصر. ومن هنا نستنتج أن اكتساب المعرفة يبدأ عن طريق السمع أولاً، كما أن حاسة السمع لا تتوقف عن عملها في كل الظروف في الليل والنهار في النوم أو اليقظة إلا عند الموت. والسمع هو سيد وسائل الإدراك الإنساني، والكلام لا يسمى كلاماً إلا إذا كان بصوت، وعند قراءة كلمات مكتوبة فإنها في الحقيقة تسمي في النفس أصواتها المنظومة، والتي تدل على معانيها، أي أنها تجري على لسان وقلب ولو كنا صامتين.

^١ القذافي، رمضان محمد. ١٩٩٩م. علم النفس في الإسلام. مكتب الإعلام والبحوث والنشر بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية: دار الكتب الوطنية بنغازي. ط ١. ص ١٧٣-١٧٤.

ويشير القرآن إلى نعمة السمع وإلى أهميتها للإنسان في معاشه وفي علاقاته الاجتماعية وفي تعليمه بشكل لا يقبل الجدل مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝﴾ (سورة النحل ١٦ : ٧٨) وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ ۝﴾ (سورة يونس ١٠ : ٣١). إن القرآن لا يدع مجالاً للشك أن اكتساب المعرفة يأتي عن طريق الحواس وخاصة باستخدام السمع والبصر متضافرة مع العقل. ومن هذا المنطلق يحقق القرآن أيضاً إعجازاً علمياً وتربوياً وتعليمياً وتأثيرياً. يقول أحد التربويين: "قد دلت بوضوح على أن ما يحصله الإنسان من علم ونمو فكري بعد أن يولد إنما هو عن طريق الكسب بسبب ما يلتقطه السمع والبصر والعقل. وقد سبق القرآن علماء العربية في هذا المعنى."^١

وهذه دلالات تربوية وتعليمية تفسر سر تقاليم السمع على البصر، ويؤكد الطبيب الباحث محمد علي البار هذا التفسير بقوله: "ذلك لأن السمع أعظم وأهم من البصر ذاته على عظيم أهمية نعمة البصر، ويتعلم المولود بواسطة السمع أضعاف ما يتعلمه بواسطة البصر"^٢. وأكد الكاتب عبد الرحمن لباد أن القرآن قدم السمع على البصر لتقدم السمع عملياً، كما أن السمع مهم لتعلم النطق والكلام والتفاهم مع الغير. وأكد على أن حاسة السمع تتقدم تشريحياً وفسيولوجياً وزمنياً ووظيفياً على حاسة البصر، وهو ما لم يكن معروفاً قبل نهاية القرن العشرين.^٣

^١ القرشي، باقر محمد شريف. ١٩٨٣م. النظام التربوي في الإسلام: دراسة مقارنة. بيروت: دار المعارف للطبعات. ص ٩.

^٢ محمد علي البار. ١٩٨٦م. خلق الإنسان بين الطب والعلم. جدة: الدار السعودية للنشر. ط ٦. ص ٢٤٥.

^٣ لباد، عبد الرحمن. ٢٠٠١م. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. غزة: جامعة الأقصى. المؤتمر العلمي الثالث: الإعجاز في القرآن الكريم. ج ٢. ص ٤٠٠-٤٠١.

ولهذه الأسباب يتعلم الطفل المعلومات الصوتية في أوائل حياته قبل تعلمه المعلومات البصرية ويتعلمها ويحفظها أسرع بكثير من تعلمه المعلومات المرئية. فهو مثلاً يفهم الكلام الذي يسمعه ويدركه ويعيه أكثر من فهمه للرسوم والصور والكتابات التي يراها. ويحفظ الآيات والأنشيد بسرعة، ويتمكن من تعلم النطق في وقت مبكر جداً بالنسبة لتعلمه القراءة والكتابة. وكل ذلك لأن مناطق دماغه السمعية نضجت قبل مناطق البصرية. قال تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيّاً أَدْنُ وَاعِيَةً﴾ (سورة الحاقة ٦٩: ١٢)

نسبة اكتساب العلم عن طريقي السمع والبصر

وأن نسبة ما يتعلمه الإنسان عن طريق السمع تفوق نسبة ما يتعلمه عن طريق البصر، فالدارس لحاسي السمع والبصر ومدى استخدامهما في عمليتي التعلم والتعليم يجد أن حاسة السمع أكثر استعمالاً من حاسة البصر في العملية التربوية على مر العصور. وإلى عهد قريب بقيت حاسة السمع أكثر الحواس استخداماً من خلال الاستماع والكلمة المسموعة، وأكثر وسائل نقل المعرفة وأكثر الوسائل بلا منازع استخداماً في التواصل والتفاهم والحوار بين الأفراد والجماعات والشعوب. فالأميون في كل زمان ومكان يظل اعتمادهم الأول على حاسة السمع، فلا يمكن استخدام الكلمة المكتوبة أو المقروءة للتواصل معهم، ولكن تستخدم وسيلة الكلمة المسموعة فقط. وهذا ينطبق على الأطفال قبل تعلمهم القراءة والكتابة، وعلى المكفوفين.

المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية: مجلة علمية عالمية محكمة. ٢٠٠٩م. ج ٥. العدد (٢/أ). اسم المقالة: الدلالات العلمية والتربوية في ترتيب ألفاظ السمع والبصر وألفاظ العين والأذن في ضوء إعجاز القرآن الكريم. د. خالد يوسف القضاة الأردن: اللجنة العليا للبحث العلمي في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. ص ٤٨-٤٩.

وتتضح أهمية تقليم السمع على البصر في التفاهم والحوار والتواصل مع الأعمى، أما الأصم منذ الولادة فلن يتعلم اللغة أبداً ولو كان مبصر العينين. ويؤكد هذا المعنى أيضاً الطبيب الباحث محمد علي البار بقوله: "والأصم منذ الولادة لا يستطيع أن يتعلم اللغة أبداً، فهو أبكم أيضاً. بينما المولود بدون نعمة البصر يستطيع أن يتعلم اللغة بل اللغات بكل يسر، وتستطيع أن تعد مئات العبارة من فاقد البصر، ولكن من العسير أن تعد الآحاد من العبارة الذين فقدوا نعمة السمع، وبخاصة إذا كان فقد السمع منذ الولادة أو الطفولة المبكرة".

إن تعلم الطلق يتم عن طريق حاسة السمع، ولذلك تبدو أهمية السمع في تنمية مدركات الإنسان وتفكيره وعارفه. ويؤكد ذلك الجلبي على أهمية السمع من الناحية التعليمية بقوله: "إن السمع من ناحية الأهمية يأتي قبل البصر، فكثير من الذين حرّموا نعمة البصر - حتى وهم صغار - يتعلمون ويبلغون درجة راقية من الفهم والإدراك والعلم".^٢

سابعاً: حكمة تقديم البصر على السمع في القرآن

ومن الملاحظ في هذه الآيات القرآنية يجد أن كلمة السمع قد سبقت كلمة البصر في كل الآيات باستثناء ثلاث آيات فقط.^٣ هذه الآيات، هي: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلٍ وَلَا يَشْرُونَ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ (القرآن. الكهف ١٨: ٢٦) ورد في تفسير ابن كثير أي ما أبصره لكل موجود وما أسمع لكل مسموع،

^١ محمد علي البار. خلق الإنسان بين الطب والعلم. ص ٣٤٥.

^٢ خالص الجلبي. ١٩٨٥م. الطب محراب الإيمان. مؤسسة الرسالة. ص ٢٠٣.

^٣ انظر ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. ج ٣. ص ١٦٧. خالد القضاة. ١٩٩٢م. ما سر تقليم السمع على البصر في القرآن الكريم. ص ٤٨.

فلا يخفى عليه شيء من ذلك فهو يرى كل شيء ويسمع كل شيء. قال قتادة (أبصر به وأسمع) أي فلا أبصر من الله ولا أسمع.

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (القرآن. هود ١١: ٢٤). ذكر ابن عاشور في تفسيره: "والوجه عندي في الداعي إلى عطف صفة الأصم على صفة كالأعمى أنه ملحوظ فيه أن لفريق الكفار حالين كل حال منهما جذير بتشبيهه بصفة من تبتك الصفتين على حدة، فهم يشبهون الأعمى في عدم الاهتمام إلى الدلائل التي طريق إدراكها البصر، ويشبهون الأصم في عدم فهم المواعظ النافعة التي طريق فهمها السمع، فهم في حالين كل حال منهما مشبه به. وأما الداعي إلى العطف في صفتي البصير والسميع بالنسبة لحال فريق المؤمنين فبجفاف ما قررنا في حال فريق الكافرين لأن حال المؤمنين تشبه حالة مجموع صفتي البصير والسميع، إذ الاهتمام يحصل بمجموع الصفتين فلو ثبت إحدى الصفتين وانتفت الأخرى لم يحصل الاهتمام إذ الأمران المشبه بهما أمران وجوديان، فهما في قوة الإثبات فتعين أن الكون الداعي إلى عطف السميع على البصير في تشبيه حال فريق المؤمنين هو المزاجية في العبارة لتكون العبارة عن حال المؤمنين بمثابة للعبارة عن حال الكافرين في سياق الكلام، والمزاجية من محسنات الكلام وموجهها إلى فصاحتها^١.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (القرآن. السجدة ٣٢: ١٢) أن الكافرين الجرميين الذين كانوا

^١ ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج ١٢. ص ٤٢.

ينكرون البعث والحساب والعذاب، ولكنهم يوم القيامة بعد أن يواجهوا بالعذاب وبجهنم. وقد أبصروا بأعينهم جهنم وهم مطئطوا الرؤوس قائلين ربنا أبصرنا وسمعنا فقد تحققوا بأعينهم، ولكن هذا الإيمان لا يفيد لأنه جاء بعد فوات الأوان.

وقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور لأبي بكر وعمر، رضي الله عنهما. عن جده عبد الله بن حنظلة قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال: (هذان السمع والبصر) ^١. إذ جعل صفة السمع للفاروق عمر، وجعل صفة البصر للصديق أبي بكر، إنما منزلتهما من الدين بمنزلة السمع والبصر من الجسد. وهذا يحتمل أربعة أوجه: أحدها: أن يكون المراد أنهما مني بمنزلة السمع والبصر. والثاني يريد أنهما من دين الإسلام بمنزلة السمع والبصر من الإنسان فيكون الرسول بمنزلة القلب والروح وهما بمنزلة السمع والبصر من الدين وعلى هذا فيحتمل وجهين أحدهما التوزيع فيكون أحدهما بمنزلة السمع والآخر بمنزلة البصر والثاني الشك فيكون هذا التوزيع والتشبيه بالحاستين ثابتاً لكل واحد منهما فكل منهما بمنزلة السمع والبصر فعلى احتمال التوزيع والتقسيم تكلم الناس أيهما هو السمع وأيهما هو البصر وبنوا ذلك على أي الصفتين أفضل فهي صفة الصديق والتحقيق، أن صفة البصر للصديق وصفة السمع للفاروق، فكان تقلب السمع أهم والحاجة إلى العلم به ^٢.

^١ أخرجه الحاكم النيسابوري في مستدركه. المستدرک على الصحيحين. كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم. رقم الحديث: ٤٤٣٢. ج ٣. ص ٧٣. هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. التعليق - من تلخيص الذهبي ٤٤٣٢ - حسن

^٢ ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. د.ت. بدائع الفوائد. بيروت: دار الكتاب العربي. ج ٣. ص ٧٢-٧٣.

اختلف ابن قتيبة وابن الأنباري في السمع والبصر أيهما أفضل، ففضل ابن قتيبة السمع ووافقه طائفة واحتج بقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ قال: "فلما قرن بذهاب السمع ذهاب العقل ولم يقرن بذهاب النظر إلا ذهاب البصر كان دليلاً على أن السمع أفضل" قال ابن الأنباري: "هذا غلط وكيف يكون السمع أفضل وبالبصر يكون الإقبال والإدبار والقرب إلى النجاة والبعد من الهلاك وبه جمال الوجه وبذهابه شينة، وفي الحديث: "من ذهب كرمته فصر واحتسب لم أرض له ثواباً دون الجنة".

وأجاب عما ذكره ابن قتيبة بأن الذي نفاه الله تعالى مع السمع بمنزلة الذي نفاه عن البصر إذا كانه أراد إبصار القلوب ولم يرد إبصار العيون والذي يبصره القلب هو الذي يعقله لأنها نزلت في قوم من اليهود كانوا يستمعون كلام النبي صلى الله عليه وسلم فيقفون على صحته ثم يكذبونه فأنزل في الله فيهم ﴿أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الصُّمَّ﴾ أي المعرضين ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر إليك بعين نقص أفأنت تهدي العمي أي المعرضين ولو كانوا لا يبصرون قال: "ولا حجة في تقديم السمع على البصر هنا فقد أخرج في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾.

وتميل الباحثة بكلام ابن القيم على أنهما متكاملان بعضهما من بعض. قال ابن القيم في بدائع الفوائد: "واحتج مفضلو السمع بأن به ينال غاية السعادة من تمتع كلام الله وسماع كلام رسوله قالوا وبه حصلت العلوم النافعة قالوا وبه يدرك الحاضر والغائب والمحسوس والمعتقولات فلا نسبة لمدرك البصر إلى مدرك السمع قالوا ولهذا يكون فاقداه أقل علماً من فاقد البصر بل قد يكون فاقد البصر أحد العلماء الكبار بخلاف فاقد صفة السمع فإنه لم يعهد من هذا الجنس عالم البتة. قال مفضلو البصر أفضل النعيم النظر إلى الرب تعالى وهو يكون بالبصر والذي يراه البصر

لا يقبل الغلط بخلاف ما يسمع فإنه يقع فيه الغلط والكذب والوهم فمدرك البصر أتم وأكمل. قالوا وأيضاً فمحله أحسن وأكمل وأعظم عجائب من محل السمع وذلك لشرفه وفضله. والتحقيق أن السمع له مزية والبصر له مزية فمزية السمع العموم والشمول ومزية البصر كمال الإدراك وتماهه فالسمع أعم وأشمل والبصر أتم وأكمل فهذا أفضل من جهة شمول إدراكه وعمومه وهذا أفضل من جهة كمال إدراكه وتماهه".^١

فتلخص الباحثة من الحكم تقلّم البصر على السمع في هذه الآية كالاتي:

١. قلّم فيها البصر على السمع لأن الكلام عن المجرمين الذين كانوا في الدنيا يسمعون عن القيامة وأحوالها ولا يبصرون لكن ما يسمعه كان يدخل في مجال الشك والظن ولو تيقنوا لآمّنوا أما في الآخرة فقد أبصروا ما كانوا يسمعون عنه لأنهم أصبحوا في مجال اليقين، وهو ميدان البصر (عين اليقين) والآخرة ميدان الرؤية وليس ميدان السمع، وكما يقال ليس الخبر كالمعاينة. فعندما رأوا في الآخرة ما كانوا يسمعون ويشتكون فيه تغير الحال ولذا اقتضى تقلّم البصر على السمع.
٢. سرعة انتقال الصورة تزيد عن سرعة انتقال الصوت، فالصورة تنتقل بسرعة ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية، أما الصوت، لا ينتقل إلا بسرعة ثلاثمائة وثلاثين متراً في الثانية^٢. فالصور تراها العين قبل الصوت، وأصداق شاهد على ذلك، نهم الرعد، ترى البرق، وبعد حين تستمع إلى الرعد.

^١ ابن القيم. بدائع الفوائد. ج ٣: ص ١٦٤-١٦٥.

^٢ القماش وآخرون، عبد الرحمن بن محمد. الحاوي في تفسير القرآن الكريم. ص ٦٨١.

ثامناً: علة تقديم ألفاظ العين على ألفاظ الأذن متلازمة في القرآن الكريم والدلالات التربوية والتعليمية فيه.

لدى تتبع واستقراء الآيات القرآنية التي وردت فيها ألفاظ العين والأذن متلازمة في الترتيب في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم الذي وضعه محمد عبد الباقي تبين أنها وردت في قوله تعالى: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ﴾ (سورة المائدة ٥: ٤٥). وقوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بَلْ وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَعَادَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ (سورة الأعراف ٧: ١٧٩). وقوله: ﴿أَلَمْ أَرْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ هُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أُذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ (سورة الأعراف ٧: ١٩٥). وقوله: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ (سورة الكهف ١٨: ١٠١).

وقد ذكر د. خالد القضاة في مقالته: "لدى تتبع الآيات القرآنية الكريمة التي وردت فيها ألفاظ العين والأذن متلازمة تبين أنها وردت في أربعة مواقع كانت فيها ألفاظ العين سواء بالمفرد أو الجمع تتقدم على الألفاظ الأذن والآذان. ومن الجدير بالذكر أن ألفاظ العين والأذن وردت في الآية الأولى في حالة المفرد فقط (العين بالعين والأذن بالأذن)، وفي الآيات الأخرى في حالة الجمع (أعين وآذان). ومن الملاحظ أن جمع (عين) وردت في القرآن فقط (أعين) وليس عيون. فقد استعمل القرآن لفظ (عيون) ليعني بها مصادر المياه التي تتفجر من الأرض، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (القرآن. الحجر ١٥: ٤٥). والآية الرابعة وردت كلمة (أعين) صراحة ولكن لم ترد كلمة (آذان) صراحة بل وردت ضمناً في قوله تعالى: (وكانوا

لا يستطيعون سماعاً) ولا تعني الآية أنه لم يكن لهم آذان أي صم ولكنها تعني أن لهم آذان ولكن لم يكونوا يستخدمونها لسماع الحق واتباعه".^١

أن ألفاظ العين والأعين تتقدم على ألفاظ الأذن والآذان في القرآن الكريم، ولم يكن هذا الترتيب صدفة، وإنما هنالك سر وحكمة وراء هذا الترتيب على هذا النحو. كما بينا سابقاً في تقدم ألفاظ السمع على ألفاظ الأبصار. وهذا سر من أسرار إعجاز القرآن الكريم. وقد ساعد التقدم العلمي على كشف بعض هذه الأسرار. فالعين جهاز أكثر دقة وتعقيداً من جهاز الأذن، وهذا ما يؤكدّه الطبيب الباحث مصطفى محمود بقوله: "والعصب البصري وحده فيه مليون خط عصبي قادمة إليه من العين فيما تضم الأذن ما يقرب من مائة ألف خلية سمعية".^٢

تقوم العين بوظائف تعليمية متميزة عن الوظائف التي تقوم بها الأذن، بواسطة العين يرى الإنسان الألوان ويدرك الأحجام وأشكال الحسوسات والملايات بأبعادها ومقاييسها وبها يقدر المسافات والمساحات. وبها يصمم الأشكال والرسوم والمباني والمنشآت. وبالعين يتعرف الإنسان على الآخرين، ويتأمل جمال المخلوقات وعجائب صنع الله. ومع التقدم العلمي والتكنولوجي تزداد أهمية حاسة البصر تعليمياً ومهنياً وتطبيقاً نحو تعليم التخصصات المهنية والحرفية والصيانة والمهارات كالطباعة واستخدام الآلات ووسائل النقل والمواصلات.

^١ اسم المقالة: الدلالات العلمية والتربوية في ترتيب أنفاظ السمع والبصر وألفاظ العين والأذن في ضوء إعجاز القرآن الكريم.

د. خالد يوسف القضاة الأردن: اللجنة العلمي للبحث العلمي في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. ص ٤٨-٤٩.

^٢ مصطفى محمود. ١٩٨٩م. لغز الحياة. القاهرة: دار المعارف. ص ٨٧.

وقد دعا القرآن الكريم إلى استخدام العين والأذن لفهم ما يحيط بالإنسان لأن عمليتي المشاهدة والسمع ثمان داخل الدماغ. وقد ذم القرآن الكريم أولئك الذين لا يحسنون استخدام حواس السمع والبصر. فالذي لا يرى الحق والحقيقة أعمى، والذي لا يستمع لصوت الحق أصم مصداقاً بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَصْلٌ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (سورة الأعراف ٧: ١٧٩)

المبحث الثالث: العلاج بالموجات الصوتية والدراسات العلمية فيه.

وقد اكتشف الغرب محقائق علمية حول العلاج بالصوت أو بالموسيقى في مجال الطب، وأصبح تطبيقه أكثر تحديداً ودقة في السنوات الأخيرة. وبعد العلاج بالصوت أو بالموسيقى من أحد أنواع الطب البديل أو الطب المكمل، والمعترف من قبل الأطباء والمتخصصين في العالم^١. وقد نشأ معاهد وأكاديميات تدرس هذا العلم وتوثقه، مع هنالك عشرات الآلاف من المعالجين بالصوت وذهب إليهم ملايين البشر^٢.

علاج بالأمواج الصوتية جاء من الاعتقاد بأن هذا الكون يهتز، وكل ذرة من ذراته تهتز بتردد محدد، سواء كانت هذه الذرة جزءاً من معدن أو ماء أو خلية أو غير ذلك. إذن كل شيء في

^١ Tomatis, A. (2004). *The Ear and The Voice*. Maryland: Scarecrow Press. Fabien, M. (1997). *The Role of Music in the Twenty-First Century*. California: Tama-Do Press. Tomatis, A. A. (1991). *The Concious Ear: My Life of Transformation Through Listening*. (B. Thompson, Ed.) Station Hill Press.

^٢ Darnley-Smith, R. (2003). *Music Therapy*. London: SAGE Publications Ltd. 15-23.

هذا الكون يهتز، وهذه حقيقة علمية لا ريب فيها¹. وإن وحدة البناء الأساسية للكون هي الذرة، ووحدة البناء الأساسية لأجسامنا هي الخلية، وكل خلية من خلايا جسدنا تتألف من بلايين الذرات. وإن السر الذي يجعل دماغنا يفكر هو وجود برنامج دقيق داخل خلايا الدماغ، هذا البرنامج موجود في كل خلية ويمارس مهمته بدقة فائقة، حيث إن أقل خلل في عمل هذا البرنامج سيؤدي إلى خلل يظهر على بعض أجزاء الجسم، وسوف يصبح هناك عدم توازن. إذن العلاج الأمثل هو إعادة التوازن لهذا الجسم من خلال علاج بالأمواج الصوتية².

كما وجد العلماء أن خلايا الدماغ وخلايا الجسد تهتز أيضاً، وتتأثر بالاهتزازات وبالأمواج الكهرومغناطيسية (Electro-magnetic) والضوء والصوت. ولذلك بدأ التفكير في الاستعانة بالعلاج بالصوت وهو أحد أنواعه الطب البديل أو الطب المكمل³. العلاج بالصوت يعتمد

¹ Walker, Marsha Jelonek, Jonathan D. Walker. 2003. *Healing Massage: A Simple Approach*. Canada: Tomson, Delmar Learning. Page 394. "Recall that the subatomic particles that make up all things in the universe are vibrating patterns of energy. It is possible to see how sound created the forms we call the world. The planets, receptors on our cell walls, and the subatomic particles in all things of the universe, all vibrate. The energy fields of each individual vibrate in harmonious rhythms. All of these vibrations produce sound. They affect each other with sound, and are affected by sound." Jonathan Goldman. 2008. *The 7 Secrets of Sound Healing*. USA: Hay House. 1st edition. 1. "...the world is sound. The first secret is this: everything is in a state of vibration".

² Wigram, T et al. (2002). *A Comprehensive Guide To Music Therapy: Theory, Clinical, Practice, Research And Training*. England: Jessica Kingsley Publisher. 143. "...the use of music to influence the patient's physical, mental, or emotional states before, during or after medical treatment..."

³ علماً أن الغرب هو الذي اكتشف عن علاج بالأمواج الصوتية وجعلها منظمة رسمية، ووضعوا تعريف محدد للعلاج بالموسيقى. وقد عرّف الاتحاد العالمي للعلاج بالموسيقى (World Federation of Music Therapy - WFMT) عن العلاج بالموسيقى بأنه:

"Music therapy is the use of music and/or musical element (sound/rhythm/melody and harmony) by a qualified music therapist with a client or group, in a process designed to facilitate and promote communication, relationship, learning, mobilisation, expression, organisation and other relevant therapeutic objectives in order to meet physical, emotional, mental, social and cognitive needs. music therapy aims to

على استعمال ترددات توقف الخلايا وتنشطها، وقد تقضي على الخلايا السرطانية وتقوي جهاز المناعة لدى الإنسان. وقبل الخوض في الموضوع نتعرض للحديث عن حاسة السمع، وجهاز السمع، وهو الأذن.

المطلب الأول: جهاز السمع

الأذن، هي أداة السمع. ومن وظائفها السمع والحفاظ على اتزان الجسم. ويقول د. محمد كمال عبد العزيز في كتابه (إعجاز القرآن في حواس الإنسان): "تبدأ حاسة السمع بالأذن الخارجية، ولا يعلم إلا الله أين تنتهي"^١. وقد نال بعض العلماء بجائزة نوبل في دراستهم حول حاسة السمع والأذن فمنهم روبرت باراني (Robert Barany) ونال جائزة نوبل في الطب لأبحاثه حول الجهاز الدهليزي في الأذن الداخلية "اختلاج القيلة الدهليزي" (Le nystag mus vestibulaire) سنة ١٩١٤^٢.

تتكون الأذن من ثلاثة أجزاء: أذن خارجية، ثم أذن وسطى ثم أذن داخلية. أما الأذن الخارجية فتتكون من صوان على شكل بوق يقوم بتجميع الأصوات من الاتجاهات المختلفة المحيطة بالإنسان لتركيزها على فتحة القناة السمعية الخارجية. أما القناة السمعية الخارجية فتكون على

develop potentials and/or restore function of intra- and inter-personal integration and consequently, a better quality life through prevention, rehabilitation, or treatment". World Federation of Music Therapy. (1997). Bulletin 1, July

^١ عبد العزيز، د. محمد كمال. د.ت. إعجاز القرآن في حواس الإنسان: دراسة في الأنف والأذن والحنجرة في ضوء الطب وعلوم القرآن والحديث. الرياض: مكتبة الساعي. د.ط. ص ٢٠-٢١.

^٢ هيكل نعمة الله والياس مليحة. ١٩٩١م. موسوعة علماء الطب مع اعتناء خاص بالأطباء العرب. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ١. ص ٣٢٧

شكل متعرج غير مستقيم، وذلك حماية للأجزاء الداخلية وطلبة الأذن من أي جسم غريب يدخل الأذن. بالإضافة إلى أنها تحتوي على غدد تقوم بإفراز مادة شمعية لاصقة تتلصق بها الأتربة والأجسام الغريبة^١. هكذا خلق الله الأذن تحمي نفسها بنفسها. أما طبلة الأذن ذلك الغشاء الرقيق الذي لا يتعدى سمكه المليمتر، فإنه يقوم بالاهتزاز استجابة لما يقع عليه من الموجات الصوتية. وينتقل هذه الاهتزازات بأمانة بالغة دون أن يغير فيها بالزيادة أو النقص إلى أجزاء الأذن الوسطى.

والأذن الوسطى هي حجرة صغيرة ذات جدران سته، لا يتعدى طولها وعرضها ستمتراً ونصفاً. ويحتوي هذا الحيز الضيق على ثلاث عظيمات عجيبة في شكلها وتناسقها وحجمها متلاصقة بجوار بعضها البعض. تعمل في انتظام وتناسق وتكامل، تكتز معاً استجابة لهزات غشاء الطبلة، وتربط هذه العظيمات ببعض أربطة وعضلات متناهية في الصغر ولكنها عظيمة في الوظيفة حيث تقوم بحماية هذه العظيمات الصغيرة من التفكك نتيجة موجات صوتية عالية في التردد^٢.

أما الأذن الداخلية فإنها عجيبة العجائب ولغز يحير الألباب وتنبه العقول في تركيبه ووظيفته. تلك القوقعة العظيمة التي لا يزيد طولها أو حجمها عن نصف السنيمتر وتتفرع منها ثلاث قنوات عظيمة أيضاً في اتجاهات مختلفة. تقوم بوظيفتين حيويتين: استقبال الموجات الصوتية القادمة من

^١Anthony F. Jahn, Joseph Santos Sacchi. 2001. *Physiology of the Ear*. Canada: Thompson Learning, Inc. 2nd edition. "Introduction to the Analysis of Middle Ear Function". Page161-162.

^٢عبد العزيز، د. محمد كمال. إعجاز القرآن في حواس الإنسان: دراسة في الأنف والأذن والحنجرة في ضوء الطب وعلوم القرآن والحديث. ص ٢٠-٢١. و للمزيد انظر: د. أحمد مختار عمر. ١٩٩٧م. دراسة الصوت اللغوي. القاهرة: عالم الكتب.

الأذن الوسطى لإرسالها على هيئة إشارات إلى العصب السمعي. والوظيفة الأخرى هي التحكم في توازن الجسم على الأرض أو في الفراغ. وحقيقة الأمر أن العلم لا يعرف حتى هذه اللحظة عن كيفية قيام هذه العضو الصغير بمهاتين الوظيفتين الخطيرتين^١.

أما مركز السمع في المخ، فإنه حقاً لإحدى آيات الله في خلقه التي يقف أمامها العلم الحديث عاجزاً تماماً عن تفسير ماهيته أو طبيعته. كيف يستقبل الصوت بذبذباته المختلفة؟ كيف يفسر الأصوات المختلفة؟ أين وكيف يخزنهما؟ لا يعرف العلم إلا أعصاباً تحمل إشارات كهربائية داخله إلى المخ ثم أعصاباً تحمل إشارات كهربائية أخرى تخرج من هذا المعمل الرهيب لتحمل رسائل وأوامر إلى مجموعات أخرى من الخلايا والأعصاب والعضلات. نظراً لأهمية حاسة السمع في الإنسان، حيث إنها من أهم روابط الإنسان بالجممع فقد سخر الله لها طريقتين: أحدهما عن طريق العصب السمعي، والآخر يسلك طريقه عن طريق عظام الرأس والجمجمة، حتى إذا ما حدث عطل أو خلل في أحدهما، كان الطريق الآخر سليماً يؤدي وظيفته^٢.

نظريات عديدة وافتراضات كثيرة وضعت لمحاولة تفسير كيفية السمع، ولكنها جميعاً عاجزة كل العجز أمام هذه القدرة الرهيبة التي تعد سراً من أسرارها، والتي إن هلت على شيء فإنما تدل على قدرة الله وإعجاز القرآن، والإعجاز التأثيري الشفائي خصوصاً.

^١ عبد العزيز، د. محمد كمال. إعجاز القرآن في حواس الإنسان: دراسة في الأنف والأذن والحنجرة في ضوء الطب وعلوم القرآن والحديث. ص ٢١-٢٢. د. أحمد مختار عمر. ١٩٩٧م. دراسة الصوت اللغوي. القاهرة: عالم الكتب. ص ٤٨-٤٩.

^٢ عبد العزيز، د. محمد كمال. إعجاز القرآن في حواس الإنسان: دراسة في الأنف والأذن والحنجرة في ضوء الطب وعلوم القرآن والحديث. ص ٢٣.

المطلب الثاني: الحقائق العلمية حول حاسة السمع

أولاً: تطور جهاز السمع ونشأته في المرحلة الجنينية

إن لفظ السمع يقصد به وظيفة الأذن وهو السمع ولا يقصد به جهاز السمع وهو الأذن. فقد جاء العلم والطب الحديث ليثبت إعجازاً قرآنياً في هذا الصدد، حيث وجد أن السمع يباشر وظيفته في الجنين قبل البصر، فالجنين يسمع الأصوات ويتأثر بها بينما لا تباشر العينان وظيفتهما لدى الإنسان إلا بعد الولادة^١.

تبدأ المخلوقات حياتها باتحاد خليتين ذكورية وأثوية ليشكلا معاً خلية واحدة هي بداية خلق الإنسان. وتنمو الخلية الأصلية طبقة من الجلد الطولي^٢ مكونة من ثلاث طبقات مركبة فوق بعضها، وذلك خلال الأسبوع الأول من الحياة. وتحول الطبقة الخارجية للجلد إلى أنبوب طولي مجوف يتطور أعلاه فيشكل المخ بينما يتحول أسفله إلى أنبوب ظهري ذي أطراف عصبية يسمى بالحبل الظهرى ثم يتحول فيما بعد إلى قناة عصبية تصبح فيما بعد نواة الحبل العصبي. وعندما يبلغ عمر الخلية ٢٥ يوماً يكون طولها حينئذ ٢,٥ ملليمتراً حيث يبدأ في ذلك الوقت ظهور أعصاب السمع وقرص الأذن الخارجية. وفي ذلك يشير القرآن: ﴿وَإِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة فصلت: ٢٠).

^١ الجميلي، السيد. ١٩٧٧م. الإعجاز الطبي في القرآن. القاهرة: دار التراث العربي للطباعة والنشر. ص ١٤٠.
^٢ يرى العلماء أن الإشارة إلى الجلد في هذا الموضوع هو نوع من الإعجاز العلمي الذي أتى به القرآن، حيث إن مكونات الإنسان هي نتاج لطبقات الجلد الطولي الذي نما في الخلية الأولى والذي تفرعت عنه جميع الأعضاء. انظر: القذافي. علم النفس في الإسلام. ص ١٧٢-١٧٣.

ويتطور الجهاز السمعي مع تقدم الخلية في العمر وتستمر عمليات تشكيل الأذن الخارجية والوسطى والداخلية بلا توقف. وعندما يبلغ عمر الجنين ١٦ أسبوعاً يقترب شكل الأذن من الشكل الطبيعي المعتاد. وعندما يصل عمر الجنين ٥ أشهر تتحول بعض الأجزاء الغضروفية في تركيب الأذن إلى تكوينات عظيمة^١. وبهذا تكون الأذن الداخلية قد نمت ونضجت لتصل إلى حجمها الطبيعي عند البالغين وأصبحت جاهزة للقيام بوظيفة السمع المخصصة في الشهر الخامس من عمر الجنين.

وأكد الهالالي^٢ على أن السمع ينضج قبل البصر في الجنين. وأن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يسمع الأصوات وهو في رحم أمه. فجميع الحيوانات لا تبدأ سماع الأصوات إلا بعد ولادتها. فالإنسان يبدأ سماع الأصوات قبل الولادة بأكثر من ١٦ أسبوع. أما الخنزير فيسمع الأصوات بعد ولادته بـ ٥-٦ ساعات، والأرنب يسمعها بعد ولادته بسبعة أيام، والكلب بعد ولادته بعشرة أيام. كما أكد الهالالي^٣ على أن المنطقة السمعية المخية تتطور وتتكامل وظائفها قبل مثلتها البصرية^٣.

ثانياً: الأذن الداخلية للجنين تتحس للأصوات في الشهر الخامس
وقد أجريت دراسة في جامعة كارولينا في الولايات المتحدة على مواليد جدد لا تتعدى أعمارهم

^١ القذافي. علم النفس في الإسلام. ص ١٧٣.

^٢ الهالالي، صادق. ٢٠٠٦م. الإعجاز العلمي في آيات السمع والبصر في القرآن الكريم. الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة. ط ٣. ص ٢٣.

^٣ الهالالي، صادق. ٢٠٠٦م. الإعجاز العلمي في آيات السمع والبصر في القرآن الكريم. الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة. ط ٣. ص ٢٣.

الثلاثة أيام حيث أُسمِعوا تسجيلات لأصوات أمهاتهم وهم يرضعون بطريقة معينة حيث استطاعوا تمييز أصوات أمهاتهم من أصوات الممرضات بسرعة مذهلة. كما أكدت دراسات أخرى لاحقة أن الجنين يسمع الأصوات وهو في بطن أمه كما أنه يسمع النغم الإيقاعي لنبضات قلب الأم^١.

وأورد النابلسي أن هناك حكمتان اعتمدتهما العلماء لتقدم السمع على البصر حيث عدّوا السمع أخطر في حياة الإنسان من البصر، وذلك لأن الإنسان يتلقى الأصوات من الجهات الست عن يمينه وعن شماله، ومن أمامه ومن خلفه، ومن فوقه ومن تحته، في الظلام والنور، في الليل والنهار، وعلى الرغم من الحواجز الكثيفة فالأذن تسمع. فكأن السمع يغطي البيت كله، فإن كنت نائماً وسمعت حركة في غرفة الضيوف، انتقلت إليها. أما عينك فلا تريك إلا أطراف غرفة النوم. وإن كنت تقود السيارة فلا ترى إلا الذي أمامك، أما إن كان ثمة خلل في المحرك أو العجلات، فالصوت يصل إلى أذنك، فتقف في الوقت المناسب.... وقد أجرى العلماء بعض التجارب سجلوا فيها أصوات ضربات القلب وقرقرة الأمعاء وأسمعوا للطفل بعد الولادة، فسكت عن البكاء، أما حاسة البصر فلا تكتمل إلا بعد الشهر الثالث والرابع من الولادة^٢.

ثالثاً: تطور المناطق السمعية والبصرية المخية

لقد ثبت الآن أن المنطقة السمعية المخية تتطور وتكامل وظائفها قبل مشيها البصرية^٣. وقد أمكن تسجيل إشارات عصبية سمعية من المنطقة السمعية لقشرة المخ عند تنبيه الجنين بمنبه صوتي

^١ البار، محمد علي. د.ت. خلق الإنسان بين الطب والعلم. جدة: الدار السعودية للنشر. د.ط. ص ٣٣٦-٣٤٥.

^٢ النابلسي، محمد راتب. ٢٠٠٥م. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: آيات الله في الإنسان. دمشق: دار المكني للطباعة والنشر والتوزيع. ص ٢٣٧.

^٣ Guyton, A. C. 1981. *Textbook of Medical Physiology*. 6th edition. W.B Saunders co. p688.

في بداية الشهر الجنيني الخامس. وتحفز الأصوات التي يسمعها الجنين خلال النصف الثاني من حياته الجنينية هذه المنطقة السمعية لتنمو وتتطور وتتكامل عضوياً ووظائفيًا بخلاف المنطقة البصرية للمخ التي لا تنبه بأية منبهات ولذلك لا تتطور إلا بعد الولادة^١.

وقد ذكر عبد الصمد في كتابه (الإعجاز العلمي في الإسلام: القرآن الكريم) ما نصه: فقد أورد تفسير العلم الحديث في سبب تقدم السمع على البصر. والسبب يكمن في تركيب المخ حيث يتكون من فصوف أمامية وخلفية والفص الجبهي والفص الصدغي. وتحتوي هذه الفصوص على مراكز الحس المختلفة، حيث وجد العلماء أن مركز السمع يقع في الفص الصدغي بينما يقع مركز البصر في الفص الخلفي. فتقدم السمع على البصر يتواءم تشريحياً مع الترتيب الداخلي لمركز المخ. كما أثبت علم الأجنة أن جهاز السمع يتطور جنينياً قبل جهاز البصر ويتكامل وينضج حتى يصل حجمه في الشهر الخامس من حياة الجنين إلى الحجم الطبيعي عند البالغين.... كما أكد أن السمع يؤدي وظيفته في كل الأوقات ولا يتوقف إلا عند الموت^٢.

رابعاً: تطور منطقة التفسير اللغوي في قشرة المخ
تنمو وتتطور منطقة التفسير اللغوي (Language Interpretative Area) في قشرة المخ والتي تقع بالقرب من منطقة حس السمع، وترتبط معها ارتباطاً أقرب وأوثق من ارتباطها مع منطقة حس البصر (التي هي الأخرى تسهم في وظيفة الكلام والادراك اللغوي عن طريق القراءة والكتابة). إن

^١ الهلالي، صادق. الإعجاز العلمي في آيات السمع والبصر في القرآن الكريم. ص ٢٤.

^٢ عبد الصمد، محمد كامل. ١٩٩٣م. الإعجاز العلمي في الإسلام: القرآن الكريم. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية. ط ٢.

هذا التقارب بين هاتين المنطقتين ناتج عن حقيقة تطور منطقة حس السمع ووظائفه في وقت مبكر قبل نضوج منطقة ووظائف حس البصر^١.

خامساً: الأذن تتحكم بكامل جسم الإنسان

وقد أجرى الطبيب الفرنسي (Alfred Tomatis) تجارب على مدى خمسين عاماً حول حواس الإنسان وخرج بنتيجة وهي أن حاسة السمع هي أهم حاسة عند الإنسان على الإطلاق. فقد وجد أن الأذن تتحكم بكامل جسم الإنسان، وتنظم عملياته الحيوية، وتنظم توازن حركاته وتناسقها بإيقاع منتظم، وأن الأذن تقود النظام العصبي عند الإنسان. وخلال تجاربه وجد أن الأعصاب السمعية تتصل مع جميع عضلات الجسم، ولذلك فإن توازن الجسم ومرونته وحاسة البصر تتأثر جميعها بالأصوات. وتتصل الأذن الداخلية مع جميع أجزاء الجسم مثل القلب والرئتين والكبد والمعدة والأمعاء، ولذلك فإن الترددات الصوتية تؤثر على أجزاء الجسم بالكامل^٢.

^١ الهلالي، صادق. الإعجاز العلمي في آيات السمع والبصر في القرآن الكريم، ص ٢٥.

^٢ Tomatis, Alfred. 2004. The Ear and The Voice. Translated by Roberta Prada, Piere Sollier, Francis Keeping. Maryland: Scarecrow Press, Inc. 45-46. "The ear has tremendous influence over the nervous system given that:

- The ear is the first sensory organ to become operational. It appears in the first few days after conception. It grows with a rapidity that surpasses understanding, and is complete and functional by the fourth month of pregnancy. By the fifth of gestation, the inner ear is a fully-grown organ, ready to store information.
- The ear controls an important neuronal network that is also astonishing in its precocity. The oldest part of ear, the vestibular labyrinth, makes its way into the neural tube, which, from the fifth month of pregnancy, becomes the operating nervous system. The subsequent motor system is born already under its control. The other part of the ear, the cochlea, which is more focused on listening, reaches out simultaneously to most parts of the encephalon (brain) in order to record sound.
- No other organ of the human body, it seems to me, shows such precocity and thus prevails so completely. It is this particular evolution that destines man to become a listener. The ear rapidly builds a structure with several levels, making up the 'first brain' which i call the "vestibular brain". Later on it is joined by the "cochlear brain".

وفي عام ١٩٦٠ وجد العالم السويسري (Hans Jenny) أن الصوت يؤثر على مختلف المواد ويعيد تشكيل جزيئاتها، وأن لكل خلية من خلايا الجسم صوتها الخاص وتتأثر بالأصوات وتعيد ترتيب المادة في داخلها. وفي عام ١٩٧٤ قام الباحث (Fabien Maman) والباحث (Joel Sternheimer) باكتشاف مذهل، وهو أن كل جزء من أجزاء الجسم له نظام اهتزازي خاص يخضع لقوانين الفيزياء. وبعد عدة سنوات اكتشف (Fabien Maman) مع باحث آخر هو (Grimal) أن الصوت يؤثر على الخلايا وبخاصة خلايا السرطان، وأن هناك أصوات محددة يكون لها تأثير أقوى، والشيء العجيب الذي لفت انتباه الباحثين أن أكثر الأصوات تأثيراً على خلايا الجسم هو صوت الإنسان نفسه.^١

قام العالم والموسيقي (Fabien Maman) بوضع خلايا الدم من جسم صحيح، وعرضها لأصوات متنوعة فوجد أن كل نغمة من نغمات السلم الموسيقي تؤثر على المجال الكهرومغناطيسي للخلية. ويقول: "إن صوت الإنسان يحمل الرنين الروحي الخاص والذي يجعل من هذا الصوت الوسيلة الأقوى للشفاء."^٢

سادساً: الساحة السمعية والبصرية

يمكن الإنسان من سماع الأصوات التي تصل إلى أذنيه من كل الاتجاهات والارتفاعات، فيمكننا القول إن الساحة السمعية هي (٣٦٠) درجة، بينما لو ثبت الإنسان رأسه في موضع واحد فلن

¹ Prophet, Elizabeth Clare. 1998. *The Creative Power of Sound: Affirmations to Create, Heal and Transform*. Summit Publication: USA. Article by Hans Jenny. 1967. *Cymatic*. And 1974 Bassilius Presse AG, Basel. Page 26.

² Jonathan Goldman. 2008. *The 7 Secrets of Sound Healing*. USA: Hay House. 1st edition. page 89-90.

³ Maman, Fabien. 1997. *The Role of Music in the Twenty-First Century*. California: Tama-Do Press.

يتمكن من رؤية الأجسام إلا في ساحة بصرية محدودة تقارب ال (١٨٠) درجة في المستوى الأفقي وال (١٤٥) درجة في الاتجاه العمودي، أما حاسة إبصاره للألوان فهي أقل من ذلك كثيراً^١.

سابعاً: المولود الذي يولد فاقداً لحس السمع يصبح أبكم

إن نعمة السمع من النعم الغالية التي لا يعرف قيمتها إلا من حرم منها. وأن فقدان السمع أكثر خطورة على الإنسان من فقدان البصر. وتطبيب للباحثة أن تستشهد بتفسير أحد الفقهاء الدعاة وكان مكفوفاً وهو الشيخ عبد الحميد كشك صاحب تفسير (في رحاب التفسير) حيث يفسر سبب تقلص السمع والبصر بقوله: "وذلك لأن السمع أعظم وأهم من البصر ذاته على عظيم أهمية نعمة البصر، ويتعلم المولود بواسطة السمع أضعاف ما يتعلم بواسطة البصر، والأصم منذ الولادة لا يستطيع أن يتعلم اللغة أبداً فهو أبكم أيضاً، بينما المولود بنعمة السمع يستطيع أن يتعلم اللغة بل اللغات بكل يسر. وتستطيع أن تعد مئات بل الآف العبارة من

^١ الهلالي، صادق. الإعجاز العلمي في آيات السمع والبصر في القرآن الكريم. ص ٢٢٦.

² Contemporary research from child psychology and psychobiology has demonstrated the innate properties of musicality. Innate musicality has a vital function from the moment we are born, when we use sound as our earliest means of communication. The sounds an infant might make in any one moment have pitch, timbre, rhythm, intensity, and melody. Furthermore, these sounds communicate feelings such as hunger, contentment, the need for sleep, and so on. The infant uses these sounds to interact, and all being well, eventually learns to talk as developmental processes take place and the sounds are extended into speech. Trevarthen, C. and Malloch, S. 2000. The Dance of Wellbeing: Defining The Musical Therapeutic Effect. *Nordic Journal of Music Therapy*. 9 (2):page:3-17

فاقدي نعمة البصر، ولكن من العسير أن تعد الآحاد من العباقرة الذين فقدوا نعمة السمع وخاصة إذا كان فقد السمع منذ الولادة أو في طفولة الباكرة^١.

عند فقدان حس البصر تقوم المنطقة البصرية المخية بوظائف ارتباطية فترتبط وظيفياً مع المناطق الارتباطية الدماغية الأخرى فتزيد من قابلية الدماغ على حفظ المعلومات والذاكرة والذكاء. ولا تقوم المنطق السمعية -لسبب غير معروف- بمثل هذا الارتباط عند فقدان حس السمع. ولذلك فقد نبغ الكثيرون ممن فقدوا حس البصر، ولم ينبغ أحد ممن فقد السمع إلا نادراً مما يدل على أهمية السمع والمبالغة في تخصيص مناطق المخية^٢.

إذن نستطيع أن نقول أن تقدم لفظ السمع على البصر في القرآن لم يكن صدفة وإنما كان مقصوداً، لا بد من قصد وحكمة. وبخاصة أن القرآن كتاب الله ومحكم البناء. وقد ساعدت الاكتشافات العلمية الحديثة في تفسير أسباب هذا التقدم والكشف عن مظاهر الإعجاز العلمي التأثيري الشفائي فيه. والله تعالى أعلم.

ثامناً: الصوت يؤثر على كل شيء من حوله

وهذا ما أثبتته العالم الياباني (Masaru Emoto) في تجاربه على الماء، حيث وجد أن الماء يتفاعل مع مشاعر وانفعالات الإنسان ويستجيب لها. واكتشف (Masaru Emoto) أن جزيئات الماء يتأثر بشكل كبير بالصوت وتتفاعل مع أفكار البشر وكلماتهم ومشاعرهم. ومن خلال استخدام

^١ كشك، عبد الحميد. ١٩٩١م. في رحاب التفسير. القاهرة: المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر. ص ٤٠٥٨. ومن الجدير بالذكر أن عميد الأدب العربي الحديث طه حسين كان مكفوماً، ومفتي المملكة السعودية ابن باز كان أيضاً مكفوماً.

^٢ الهلالي، صادق. الإعجاز العلمي في آيات السمع والبصر في القرآن الكريم. ص ٣٤.

آلة تصوير فائقة السرعة أن يصور اختلاف شكل بلورات الماء المجمدة عندما تتجاوب مع مشاعر الإنسان. فمثلاً يظهر الماء المجدد على شكل ندفات تلج ملونة وزاهية عندما يتم الهمس بالتعبير المتعمد عن الحب والنيات الحسنة وشتى المشاعر الإيجابية. وعلى العكس من ذلك فإن الماء العكر أو الماء الذي يتم بث أفكار سلبية فيه يظهر أشكالاً غير كاملة وغير متناسقة ذات ألوان باهتة تماماً. ويؤمن (Masaru Emoto) بأنه يمكن استغلال هذا التفاعل في علاج الإنسان والبيئة من حوله أيضاً من خلال التعابير والمشاعر الإيجابية والحسنة¹. وبما أن ثلاث أرباع جسم الإنسان وخلاياه من الماء، فإن هذا الماء والموجود في خلايا أجسامنا سوف يتأثر بالقرآن وبالدبذبات الصوتية له وهو كلام الله تعالى.

ويؤكد العلماء اليوم وجود نظام اهتزازي داخل الخلية، وهذا النظام هو الذي يؤمن للخلية التواصل مع بقية الخلايا. فقد وجد العلماء أن شوارد الكالسيوم Ca^{2+} تهتز باستمرار أثناء انتقالها من خلية لأخرى². وقد استطاع العلماء أخيراً رؤية الخلية أثناء عملها باستخدام تكنولوجيا النانو (Nanotechnology)، أو التكنولوجيا الدقيقة، وقد تبين لهم أن آلية عمل الخلايا هو الرنين. حيث تهتز كل خلية وتتأثر على الخلية التي بجانبها وتقل طاقة الاهتزازات إليها من دوم أن تمسّها³. إذا كان مجرد سماع الموسيقى يؤدي الشفاء، فما بال سماع القرآن الكريم. فالعلاج بالقرآن ليس مجرد علاج أو شفاء من مرض ما، بل هو شفاء ورحمة وقربة وسعادة وقرب من الله، وهو طريق للنجاح في الدنيا والآخرة.

¹ Jonathan Goldman. 2008. *The 7 Secrets of Sound Healing*. page8-9, 40-41. "do you realize how much of our bodies is composed of water and how easy it is for sound to affect it.."

² Hellman B, Gylfe E, Grapengiesser E, Lund PE, Berts A. Cytoplasmic Ca^{2+} oscillations in pancreatic beta-cells, Uppsala University, Sweden, Dec 11, 1992.

³ Revolutionary nanotechnology illuminates brain cells at work, 6/1/2005.

<http://www.nanotechwire.com/news.asp?nid=1993&ntid=&pg=1>, 6/1/2005.

ولذلك نجد أن الباحثين اليوم في الدول المتطورة يلجأون إلى طرق بديلة لعلاج الأمراض المستعصية مثل السرطان وغيره بعد عدم تمكن الأطباء من إيجاد علاج ناجع لها. ومن أهم هذه الطرق ما يسمى العلاج بالصوت. ويؤثرون على المريض بذبذبات صوتية معينة مثل صوت لموسيقى أو الأصوات للطبيعة مثل خرير الماء أو غير ذلك من أصوات نقر على أوعية زجاجية إلى آخره. فوجدوا بعد فترة من هذا العلاج أن العضو المصاب يتحسن أو هذا السرطان يبدأ بالتحسن. فأصدروا آلاف الأبحاث وهناك مؤتمرات كبيرة تعقد اليوم عن العلاج بالصوت كطريقة بديلة للطب الكيميائي. وهم لا يشكون أبداً أن الترددات الصوتية تؤثر على خلايا الدماغ فمنها ما ينشط هذه الخلايا ويجعلها أكثر نشاطاً وحيوية، ومنها ما يؤثر أيضاً على خلايا السرطان فيقتلها. وهذا العلاج بالموسيقى، فما بال العلاج بالقرآن.

المبحث الرابع: علاج المرض بالاستماع للقرآن الكريم ومدى تأثيره.

هناك سبباً لم نعرفه بعد، ولكن لو تبصرنا في الحقائق العلمية في علوم الأجنة والتشريح والفيزيولوجي والطب، لتمكنا من إيجاد الأجوبة ولا تضح لنا الإعجاز العلمي في هذه الآيات الكريمة، كما تبين الحقائق العلمية السالفة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم عن أهمية السمع. فوظيفة حس السمع ليست للاستماع واكتساب المعرفة فحسب، بل تجاوزت استخدامه في العلاج بالموجات الصوتية، لذلك قدمه الله تعالى ذكره من سائر الحول في القرآن الكريم. لقد استخدم العلاج بالموجات الصوتية أو المعروف باسم علاج بالموسيقى لأغراض الشفاء منذ فجر الحضارة اليونانية، وأنه لا يزال يمارس في جميع أنحاء العالم حتى الآن¹.

¹ Horden, P. (2000). 'Introduction', in *Music as Medicine*. Aldershot: Ashgate. page:1.

المطلب الأول: العلاج بسماع القرآن أثناء النوم

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (سورة الروم ٣٠: ٢٣). فالنوم آية ومعجزة تشهد على عظمة الخالق ودقة صنعه وإتقانه. لقد بدأ العلم منذ مطلع القرن العشرين يكتشف تباعاً الأبعاد العلمية والدقائق التشريحية والوظيفية والكيميائية التي تتحكم بعملية النوم^١. وقد قام الباحثون بتجارب كثيرة على النوم ولا زالوا وأجمعوا على أن النوم من العمليات المعقدة جداً، وكلما زادت معرفتهم بالنوم أكثر أدركوا جهلهم بهذه العملية المعقدة^٢.

لعلنا نتساءل: هل هناك علاقة بين النوم والسمع؟ علمياً أثبت العلماء هذه العلاقة، ولكن قرآنياً كيف تحدث الله عن النوم؟ يقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾. وهنا نتوقف قليلاً ونتوقع ماذا يمكن أن يأتي بعد هذه الكلمات الإلهية الرائعة، فالآية تحدثنا عن آية النوم أي معجزة النوم، لأن كلمة (آية) تعني (معجزة)، أي أن تفسير الآية هو: ومن معجزاته نومكم في الليل وفي النهار. والعجيب أن الله تعالى حتم هذه الآية بقوله جل وعلا: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ فالآية ربطت بين النوم وبين السمع، وهذه إشارة قرآنية لطيفة إلى أهمية الاستماع إلى القرآن أثناء النوم، والله أعلم. ولذلك من المنطقي والطبيعي أننا عندما نتحدث عن النوم أن نتحدث عن السمع، وهذا ما فعله القرآن عندما ربط بين النوم بالليل والنهار: (مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) وبين السمع (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ)^٣.

^١ الشريف، عدنان. ٢٠٠٠م. من علم النفس القرآني. بيروت: دار العلم للملايين. ط ٤. ص ١٤٣

^٢ Michel Billard. 2003. *Sleep: Physiology, Investigations and Medicine*. New York: Plenum Publishers. Page8. "sleep is a complex behavior. Great effort has been exerted to better understand the cortical functioning of the sleepy brain..."

^٣ الكحيل، عبد الدائم. علاج نفسك بالقرآن: أول دراسة علمية موثقة. ص ٩١.

مراحل النوم كما كشفها العلم

منذ سنة ١٩٥٥م، وبعد دراسة عشرات الآلاف من حالات النوم في مختبرات النوم العلمية حيث يسجل نشاط الدماغ الكهربائي للنائم مع حركة تنفسه، وعينيته، وغفلاته باستخدام (electroencephalograph-EEG)^١. قسم العلماء النوم إلى عدة مراحل^٢:

المرحلة الأولى: مرحلة الدخول التدريجي في النوم، وتؤلف ١-٥% من مدة النوم الكامل.

المرحلة الثانية: مرحلة النوم الخفيف غير العميق الذي يؤلف ٥٠% من مدة النوم الكامل.

المرحلتان الثالثة والرابعة: مرحلة النوم البطيء العميق العادي الهادئ. وهي مرحلة النوم المريح أي نوم الأمانة والعلمانية، وتشكل ٢٠% من مدة النوم الكامل. ويسمى *REM (Rapid Eye Movements)*

المرحلة الخامسة: مرحلة النوم العميق المصحوب بالأحلام والحركة أو النوم العجيب، لأن النائم خلال مرحلة نوم الأحلام يكون تخطيط الدماغ الكهربائي وحركة التنفس والدورة الدموية وحركات العين كما لو كان في حالة اليقظة رغم أنه في نوم عميق جداً. وربما كان هكذا نوم أهل

^١ اكتشف العلماء أن للمخ أربع موجات، ولكل موجة سرعة مختلفة عن سرعة الموجة الأخرى في الثانية الواحدة وهي كما يلي: أ. في حالة اليقظة يتحرك المخ بسرعة ١٣-٢٥ موجة في الثانية (بيتا). ب. في حالة الهدوء النفسي والتفكير العميق يتحرك بسرعة ٨-١٢ موجة/ثانية (ألفا). ج. في حالة الهدوء العميق داخل النفس يتحرك بسرعة ٥-٨ موجة/ثانية (تيتا). د. في حالة النوم العميق يتحرك بسرعة ١-٣ موجات/ثانية (دلتا). للمزيد انظر:

Ilchi Lee, 2009. *Brain Wave Vibration: Getting Back into the Rhythm of a Happy, Health Life*. Sedona: Best Life Media. 2nd edition. Page48.

^٢ Douglas Bernstien, Peggy Wright Nash. 2008. *Essentials of Psychology*. 4th edition. USA: Houghton Mifflin Company. Page145. Dennis Coon, John O. Mitterer.2010. *Introduction to Psychology: Gateways to Mind and Behaviour*. 12th edition. USA: Wadsworth Cengage Learning. Page186

لكهف، والله أعلم ﴿وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود﴾. ومدة هذا النوم العميق العجيب نوم الأحلام تشكل ٢٥% من مدة النوم الكامل^١ ويسمى بـ (NREM (Non Rapid Eye Movements).

ولقد ثبت أن أكثر الناس لا يدخلون في مرحلة النعاس أي النوم العميق سواء كان النوم العميق العادي أو النوم العميق العجيب نوم الأحلام، إلا بعد المرور بمرحلة النوم التدريجي. كما ثبت أن مراحل النوم العميق وهي تشكل ٤٥% من مدة النوم الكامل هي مراحل النوم المريح لجميع وظائف أجهزة الجسم والقوى العقلية من ذاكرة وقوة استيعاب وقدرة على التفكير^٢. ويختصر كل ذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَىٰكُمْ النَّعَاسُ أَمَنَةٌ﴾ (القرآن. الأنفال ٨: ١١). أي إذ يغطيكم ويغلفكم في النوم العميق الذي يعطي الأمان والطمأنينة. النعاس هو النوم العميق، وقد وصف المولى النعاس بأنه أمانة أي راحة جسدية، ونفسية، وعقلية، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنْكُمْ﴾ (سورة آل عمران ٣: ١٥٤). وجاء العلم اليوم يثبت أن النعاس أي النوم العميق ويشكل نصف مدة النوم، هو النوم المريح من النوم للنائم^٣.

^١ الشريف، عدنان. ٢٠٠٠م. من علم النفس القرآني. بيروت: دار العلم للملايين. ط ٤. ص ١٤٤-١٤٥. أما نسبة المثوبة في كل مراحل النوم، للمزيد أنظر:

William H. Moorcroft, Paula Belcher. 2005. *Understanding Sleep and Dreaming*. USA: Springer Science + Business Media Inc. Page 25

^٢ William H. Moorcroft, Paula Belcher. *Understanding Sleep and Dreaming*. Page 97-98. "Generally, what happens in the body during NREM (Non Rapid Eye Movements) is what we all think sleep ought to be. Things are quiet and at a generally low level as it would be for the body to rest and recuperate. The feedback systems of the various organ systems are working well but maintaining steady levels somewhat lower than during quiet resting. Any internal and external disturbances are quietly compensated for by these feedback mechanisms. Central nervous system, during NREMS many neurons in the central nervous system have a lower rate of activity than they do during waking. It is as if the brain is just active enough to keep things going at a basic low level. It is almost as if it is idling (but as we shall see later on there is still a lot of mental processing going on). Patrick McNamara. 2004. *An Evolutionary Psychology of Sleep and Dreams*. USA: Praeger Publishers. Page 1.

^٣ الشريف، عدنان. ٢٠٠٠م. من علم النفس القرآني. بيروت: دار العلم للملايين. ط ٤. ص ١٤٥.

تبقى الأذن تعمل وتدخل إليها أي ترددات صوتية وتنقلها إلى الدماغ، الذي يقوم بمعالجة هذه المعلومات الواردة، ومع أن الإنسان وهو نائم لا يشعر بأي شيء، إلا أن حاسة السمع تقوم بالكثير بل وتحافظ على التوازن أثناء النوم، فالنوم هو آية تستحق أن نتفكر فيها. النائم عندما يغمض عينيه فلا يرى شيئاً، وتتوقف لديه حاسة اللمس، وكذلك حاسة الشم، ولكن هناك حاسة وهي السمع تبقى متنبهة لأي صوت خارجي، لذلك نرى كثيراً من النائمين وهو نائم يرى حلمًا تدور أحداثه حول كلمة أُلقيت بجانبه^١.

مثلاً إذا جئنا بإنسان نائم وأجرينا عليه مسحاً لدماغه بواسطة جهاز المسح بالرنين المغناطيسي الوظيفي (fMRI) فإننا نلاحظ أن دماغه يستجيب للأصوات التي تتردد بجانبه، بل إن الدماغ يعالج هذه الأصوات وبالتالي يمكننا أن نقول إن حاسة السمع لها عمل مهم أثناء النوم. وقد تبين للعلماء أن الدماغ يبقى في حالة نشاط أثناء النوم^٢.

يتأثر الدماغ بالصوت ويقول العلماء إن النشاط الدماغي يختلف حسب نوع الصوت الذي يحيط به، فكل كلمة نطقها تؤدي إلى نشاط في الدماغ يختلف عن الكلمة الأخرى! سبحان الله تأملوا كم من النشاطات التي تجري في الدماغ مع كل حرف نطقه أو نسمعه، ولذلك فإن عمل الدماغ أثناء النوم هو آية من آيات الله تعالى.

^١ الكحيل، عبد الدائم. عالج نفسك بالقرآن: أول دراسة علمية موثقة. ص ٨٦-٨٨.

^٢ Patrick McNamara. 2004. *An Evolutionary Psychology of Sleep and Dreams*. Page2. "recently a number of positron emission tomography (PET) and functional magnetic resonance imaging (fMRI) studies of the sleeping brain have revealed that REM demonstrates high activation levels in pontine, midbrain tegmentum, anterior cingulate, limbic and amygdaloid site, and deactivation of prefrontal areas, parietal cortex, and posterior cingulate."

المطلب الثاني: مدى تأثر علاج المرض بالاستماع للقرآن الكريم

١. الأثر الشافي للاستماع للقرآن (العلاج بالتناغم الاهتزازي بين ترتيل القرآن والخلايا الدماغية)

ثبت بالتجربة المقارنة أن الاستماع إلى تلاوة القرآن ينتج عنه تغيرات في عدد من الوظائف الحيوية في الجسم البشري، والتي يمكن قياسها ورصدها إلكترونياً. وهذه التغيرات الفيزيولوجية تصاحب في العادة عمليات الشفاء، وهي مضادة للتغيرات التي تصاحب الحالات المرضية. وتظهر هذه التغيرات الفيزيولوجية الإيجابية عند من يفهم اللغة العربية ومن لا يفهمها، وإن كانت التغيرات أعمق وأكثر وضوحاً حين يتوفر فهم معاني كلمات القرآن^١.

والآيات والكلمات القرآنية تحمل (ما يشبه البرامج أو البيانات) التي تستطيع التعامل مع الخلايا الدماغية لأن البارئ عز وجل الذي أنزل القرآن وهو كلامه هو الذي خلق الإنسان وبرحمته بموجبه قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (سورة الفرقان ٢٥: ٦). أي إن القرآن الكريم يحمل سر لغة الخلايا ويتعامل معها إيجابياً إذ أن آيات القرآن الكريم تخاطب الجبال وتسيرها وتقطع الأرض وترفعها وتكلم حتى الموتى وتحدث عندهم التغيرات كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلْ لَّيْلَهُ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ (سورة الرعد ٣: ١). فإنه من الأسهل ومن باب أولى أن

^١ الندوة الفقهية الطبية الأولى حول التشافي بالقرآن. ٢٧-٢٩ أكتوبر ١٩٩٧. بفندق "هوليداي إن"، الكويت. الأشقر، عمر سليمان. كيف كان القرآن شفاء لأمراض الإنسان وقاية وعلاجاً. ص ٩٢-٩٣.

تتعامل هذه الآيات القرآنية مع الأحياء وتستطيع وقاء و شفاء المخلوق الضعيف (الإنسان) من المرض^١.

وعلى ذلك فإننا نعتقد أن القرآن يحمل البيانات والبرامج الكافية والفعالة لعلاج الخلايا المتضررة في الجسم عامة وفي الدماغ خاصة. فسماع القرآن أو تلاوته يعيدان التوازن إلى الخلايا وتزيد من قدرتها على القيام بوظائفها الأساسية بشكل صحيح قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

٢. التأثير على مركز الإيمان في الدماغ

نشرت مجلة (Science and Life) العلم والحياة (الفرنسية) في عدد آب ٢٠٠٢ م (ص ٣٣-٥٢) وعدد آب ٢٠٠٥ م (ص ٤٨-٦٨) مقالين تحت عنوان (لماذا نعتقد بالله ولماذا لن يغيب الله أبداً) يخلصان فيهما أنه تبين للباحثين في عمل الدماغ من الوجهة الوظيفية والتشريحية والكيميائية والمعرفية بأنه (أي الدماغ) مبرمج ومخلوق على الإيمان والشعور الديني، فالعمليات الدماغية التي تسيرها وسائط كيميائية Neuro-mediators ومنها مادة السيروتونين Serotonin لها دور رئيسي عند المحبطين نفسيا من غير المؤمنين والذين لا يمارسون الشعائر الدينية بينما تزداد عند المؤمنين بالله عز وجل وتبين أيضا وجود مناطق في الدماغ منوط بها الشعور الديني^٢. فكل إنسان يرث دماغاً يدفعه بحكم خلقته للإيمان مصداقا لقوله تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة

^١ الحبال، محمد جميل. القرآن وقاء وشفاء. ص ٢٣-٢٤.

^٢ الحبال، محمد جميل. القرآن وقاء وشفاء. ص ١٨.

الروم ٣٠: ٣٠). وفي الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام (كل مولود يولد على الفطرة - أي على الإيمان بالله عز وجل والدين الحنيف - فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)^١.

الأثر الشافي للرقية (أي مع قراءة القرآن)

ثبت عن طريقة التصوير الكهربائي (تصوير كيرليان - Kirlian Photography)^٢ أن قراءة القرآن تحدث تغيرات إيجابية في مجال الطاقة الكهربائية المغناطيسية المحيطة بجسم وأطراف القارئ، وثبت كذلك أن هذه التغيرات في المجال الكهربائي المغناطيسي للمقروء عليه، أو المرقى. وهذه التغيرات بالتالي يكون لها أثر إيجابي شاف على صحة المريض بإذن الله^٣.

أما الرقية فهي كرامة يهبها الله سبحانه وتعالى لمن يشاء، فتحقق الشفاء بدون أسباب ظاهرة لنا. وقد وصف علماء المادة العلم الدوائي أنه إلزام وجوب تحقيق النتيجة وتكرارها منوط بإيجاد

^١ أخرجه البخاري في صحيحه. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. د.م: دار طوق النجاة. كتاب: كتاب الجنائز. باب: باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصل عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام. رقم الحديث: ١٣٥٨ ط ١، ج ٢، ص ٩٤.

^٢ In 1939, Seymon Kirlian began his work developing new concept of electrophotography. Kirlian found that by subjecting animate and inanimate objects to a high-voltage high frequency pulse, that an aura or halo would form around the object and could be recorded on film. The illumination of the halo was sufficient to make the exposure, so no light were required. Although Seymon Kirlian lived and lived and died with in relative obscurity, Kirlian photography is the subject these days of heated debate. The pro-Kirlians insist that the unique photographic method can capture moods of people, pinpoint illnesses that have yet to manifest themselves in other forms, and graphically depict an individual's psychic aura. The anti-Kirlians, mostly hard-line scientists insist that there's nothing to the method other than the natural corona discharge of high-voltage, high-frequency potentials. Gordon McComb. 1990. Gordon McComb's Gadgeteer's Goldmine!: 55 Space-Age Projects. USA: TAB Books. Page 77.

^٣ الندوة الفقهية الطبية الأولى حول التشافي بالقرآن. الأشقر، عمر سليمان. كيف كان القرآن شفاء لأمراض الإنسان وقاية وعلاجاً. ص ٩٣.

المؤثر. فإذا وضعت مغناطيساً بجانب إبرة، فيجب أن ترتفع الإبرة إلى هذا المغناطيس. وإذا سلطت إشعاعاً في مستوى معين على الجلد، فيجب أن يحمر هذا الجلد ولو كررت هذه العملية مئات المرات لحصلت هذه الاستجابة بشكل قطعي في كل مرة. فهذه السنن الثابتة التي تخضع لمعايير المادة، والتي خلقها الله بداخل الإنسان أو في الطبيعة هي لب الحضارة المادية. وهي التي نجد فيها قصوراً كبيراً بين المسلمين للأسف الشديد. فهذا العلم المادي فيه أسرار عظيمة ما جهل منه أكبر مما علم. وطرق معرفته لا تتم إلا بالجهد والانشغال به.

أما الرقي الشرعية التي هي من الكرامات، فإنها قد تحدث وقد لا تحدث. فهي كالدعاء قد يستجيب الله لها، أو يرفع بها ضرراً آخر أو قد يؤجلها لوقت، أو حين يكون هناك موانع صحية أو اقتصادية تمنع استخدام هذا الدواء. عند ذلك، يلجأ إلى من بيده الشفاء باستخدام الرقية الشرعية¹.

الأثر الشافي لبعض المفاهيم من القرآن والسنة التي تساعد المريض على التخلص من المشاعر السلبية وتقوية الجهاز المناعي
ثبتت فعالية بعض المفاهيم من القرآن والسنة الشريفة في التخلص من المشاعر السلبية عند المريض. وقد ثبت بالتجربة العلمية أن المشاعر السلبية المخزنة من أقوى العوامل التي تؤدي إلى تثبيط وظائف المناعة² عند الإنسان. وثبت أن ضعف أو خلل وظائف المناعة عند الإنسان يؤدي

¹ المرجع نفسه. ص ٩٧-٩٨.

² Derkins, Susie. 2001. *Insider's Guide To The Body, The Immune System*. United State: New York: The Rosen Publishing Group. 1st Edition. Page 4-5. "The immune system is your body's defense system against disease. When it is working properly, it finds and fights pathogenic, or disease-causing, organisms like germ, bacteria, and viruses. Your immune system gives you the physical and mental strength, energy, and power to

إلى زيادة نسبة الإصابة بالأمراض المختلفة^١. وبالتالي فإن الإرشاد النفسي لتعلم كيفية التخلص من المشاعر السلبية هو جزء أساس في علاج الأمراض المزمنة. وقد ثبتت فعالية الإرشاد النفسي المبني على المفاهيم الإسلامية المنبثقة من القرآن، والسنة الشريفة، وهذا على المسلمين وغير المسلمين، لأنه يستند على مفاهيم تتناسب مع فطرة الإنسان، بغض النظر عن ملته. وإن كانت فعالية هذا الإرشاد النفسي تزداد مع زيادة عمق المفاهيم الإيمانية والروحانية عند المريض، وهذا أحد الأهداف المرجو الوصول إليها عند المرضى^٢.

ونحن هنا لا بد أن نتطرق بشكل ما إلى قدرة الجسم على مكافحة المرض حتى يمكننا أن نتفهم السنن المادية التي يعمل بها جسم الإنسان، وحتى ندرك أن الجهاز المناعي الذي إذا اختل أصاب الجسم علة هو جهاز معقد في التركيب، عظيم في الوظيفة، يعمل بصورة ذاتية في سنن أوجدها الله فيه، يمكن لكل من اجتهد في العلم كافراً كان أو مسلماً أن يصل إلى قواعد تلك السنن، ويدرك أبعادها. فالجهاز المناعي يكون بشكل أساس من خلايا ليمفاوية بشقيها خلايا (باء)، وخلايا (تي). ويتكون أيضاً من الخلايا الآكلة ولعل الثقل الأكبر يقع على الخلايا الليمفاوية

fight minor illnesses such as colds or flu. A healthy immune system can also detect and repair damaged cells, such as ones that have been injured by cancer and other diseases. But when your immune system is weakened, serious problems can occur. You may experience frequent or long-lasting infections- one that reoccur over months or won't go away at all. An unwell immune system may fail to detect unhealthy cell growth, resulting in cancers that cannot be fought off by the body alone. This means that you may have to seek other therapies, such as chemotherapy or radiation therapy, to complete the job of fighting disease."

^١ Ader, Robert. 2007. *Psychoneuroimmunology*. (Positive Affect and Immune Function, by Anna L. Marsland, Sarah Pressman, Sheldon Cohen) London: Elsevier Academic Press. 4th Edition. Vol1. Page:761. "It is now over 40 years since it was first hypothesized that emotions could influence immunity and disease. Since then, reliable association have been found between immune function and depression, stress and anxiety." Refer to: (Close relationships and Immunity) page:792 "Similarly, considerable work suggests that problematic social relationships can function as a source of stress and be immune dysregulating. In contrast, positive aspects of social support are associated with more adaptive immune function."

^٢ الأشقر، عمر سليمان. كيف كان القرآن شفاءً لأمراض الإنسان وقاية وعلاجاً. ص ٩٤-٩٥.

حيث تشكل خلايا (باء) ما يقارب من ١٥ بالمائة من الخلايا الليمفاوية السابجة في الدم. وهي المسؤولة عن المناعة الخلطية (Humoral immunity) التي تصنع المضادات الخاصة ضد الأجسام الغريبة ضمن شبكة من المضادات المناعية المعقدة- والتي تتعمق بالتخصص لتصل إلى حد التفرد الخلوي- لتعمل بشكل منتظم ودقيق لحماية الجسد الحي من العضوية وغير العضوية المحيطة به. ولكن عندما تنتصر البكتريا على القدرة المناعية، فإنها تؤدي إلى الإصابة بالمرض.

إن صوت تريل القرآن هو عبارة عن أمواج صوتية لها تردد محدد، وطول موجي محدد. وهذه الأمواج تنشر حقولاً إهتزازية من الطاقة التي تؤثر على خلايا الدماغ وتحقق إعادة التوازن لها، مما يمنحها قدره علي تنظيم وسائل مقاومة الأمراض. إذ أن السرطان ما هو إلا خلل في عمل الخلايا. والتأثير بسماع القرآن على هذه الخلايا يعيد برمجتها من جديد. والاستماع المتكرر للآيات القرآنية يعطي الكثير من الفوائد والنتائج المذهلة منها: راحة نفسية هائلة، زيادة في مناعة الجسم والقدرة على الابتعاد والتركيز، علاج أمراض مزمنة ومستعصية، تغير ملموس في السلوك والقدرة على التعامل مع الآخرين وكسب ثقتهم. الهدوء النفسي وعلاج التوتر العصبي، وعلاج الانفعالات والغضب وسرعة التهور، تطوير الشخصية والحصول على شخصية أقوى، علاج لكثير من الأمراض الشائعة مثل التحسس، والرشح، والركام والصداع، وتحسين القدرة على النطق وسرعة الكلام، والوقاية من أمراض خبيثة كالسرطان وغيره. وتغير في العادات السيئة مثل الإفراط في الطعام والتدخين.

وهذه الفوائد وجدنا تطبيقاتها متوافرة في عهد السلف الصالح، وأحداث كثيرة، منها قصة ابتلاء وصبر التابعي عروة بن الزبير، وكان يقرأ كل يوم ربع الختمة في المصحف ويقوم الليل، فما تركه

إلا ليلة قطعت رجله، وكانت أصيبت بالأكلة فنشرها له الطبيب وصبر على نشرها وهو يقرأ القرآن^١. ومن هذه القصة يتضح لنا أن العلاج بالقرآن يخفف الآلام أثناء العملية الجراحية وقبيلها. أما في عصرنا الحاضر، مازال علاج بالقرآن يطبق ولكن مع الأسف شديد لم يطبق بشكل علمي، إلا أن الدراسات العلمية التي أجريت على العلاج بالموسيقى قد أوضحت دور الطاقة الصوتية في علاج أمراض مختلفة^٢.

^١ عن ابن شاذب: كان عروة بن الزبير يقرأ ربع القرآن كل يوم نظراً في المصحف ويقوم به الليل، فما تركه إلا ليلة قطعت رجله، ثم عاود جروحه من الليلة المقبلة. قال: وكان وقع في رجله الأكلة فنشرها. المزني، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي. ١٩٨٠م. تلميح الكمال في أسماء الرجال. تحقيق: د. بشار عواد معروف. بيروت: مؤسسة الرسالة. ج ٢٠. ص ١٩.

^٢ وهذا العلاج بالموسيقى الذي قام به علماء الغرب لعلاج الأمراض المستعصية وتم شفاءها بهذه الوسيلة العلاجية، فما بال القرآن الكريم؟ انظر:

Wigram, T et al. (2002). *A Comprehensive Guide To Music Therapy: Theory, Clinical, Practice, Research And Training*. England: Jessica Kingsley Publisher. 143. "...the use of music to influence the patient's physical, mental, or emotional states before, during or after medical treatment...", "behavioral music therapy: where the therapists is using music to increase, or modify, appropriate behaviour and to reduce or eliminate bad or inappropriate behaviours. in these situations music may be used as a positive or negative reinforcement."

Skille, O and Wigram. 1995. *The Effects of Music Vocalisation and Vibration on Brain and Muscle Tissues: Studies in Vibroacoustic Therapy* in T. Wigram. *The Art and Science of Music Therapy: A Handbook*. Amsterdam: Harwood. "the vibration of sounds or single tones has been used in past civilisations and in different cultures as a means of treating physical disabilities and pain and psychosomatic disorders." page 23

"examples of condition which have responded well to the treatment include cerebral palsy, asthma, abdominal pain, constipation, insomnia, menstrual pain and sports injuries" page 38-40. Standley, J. (1995). *Music as a Therapeutic Intervention in Medical and Dental Treatment: Research and Clinical Application*. Amsterdam: Harwood. "in the united state methods of music therapy have been developed where recorded pieces of music are used in the relief of pain and the reduction of pain, anxiety or stress, so that patients require fewer drugs" page 3-22. "clients include those on kidney dialysis, where music is used to reduce discomfort and serve as a distraction and during childbirth. other clients in standley's survey of passive music listening include those suffering from cancer, where music is used in the reduction of pain and to enhance the analgesic effects of medication. passive music listening is also included in the treatment of premature or sick infants where it is used to promote weight gain and to reduce the length of hospitalization". page 12.

والقياس هنا مختلف لأن القرآن هو في اعتقاد الكثيرين من المسلمين وغيرهم رحمة للعالمين، ومن أسباب السعادة في الدنيا والآخرة. ويزيد اليقين لدى الكثير من المتخصصين وغيرهم من عامة الناس أن في القرآن شفاء لجميع الأمراض-نفسية أو جسدية، سحراً أو مساً أو عدوي جرثومية أو اختلالات كيميائية أو غير ذلك.

الخلاصة:

من أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة من خلال ما سبق:

١. مصطلح غيبوبة لم يكن وارداً في القرآن الكريم باعتباره نوعاً من أنواع المرض، وإنما ورد فيه ما يدل على معناه اللغوي وهو "غاب عنه الأمر أو القطع" أو حسب ما ورد في قصة أصحاب الكهف هو "فقدان الوعي مؤقتاً" أي غاب عنه الإدراك، والشعور، والإحساس.
٢. الغيبوبة في الطب الحديث هي حالة فقدان الوعي التام العميق بحيث لا يمكن إعادة الأشخاص الذين يكونون في هذه الحالة إلى وعيهم عن طريق المنبهات المألوفة.
٣. حرص القرآن في قصة أهل الكهف على أن يعلمنا كيف نحفظ الأجساد في حالات الغيبوبة، حتى لا يتلف الجسد ويفقد الحياة إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً، ويفيق الإنسان أو ترد إليه الحياة الشعورية، وذلك بأمرين: التلغية المنامية، والتقليب المستمر.
٤. ذهب الفقهاء أن للمريض في حال الغيبوبة طالت أم قصرت أحكاماً تخصه.
٥. هناك عدة مراحل من العلاج الطبي المستخدمة للمصابين بحالات الغيبوبة، منها: تشخيص المريض، وعلاج الأمراض العارضة من خلال إعطاء مجموعة الأدوية والعقاقير

الطبية حسب تقدير الأطباء وحالة المريض، ثم تقييم مستوى الوعي باستخدام المعلومات لقراءة المتغيرات الفيسيولوجية على المريض طبقاً لـ (Glasgow Coma Scale) وغيرها.

٦. مع العلم بقصور علماء السمع عن معرفة حاسة السمع بدقة، اعترف العلماء بالعلاج بالصوت كأحد أنواع الطب البديل وهم يعتمدون على أصوات طبيعية مثل خرير المياه، صوت تغريد البباليل، وغيرها من أصوات طبيعية.

٧. إن دور الحواس من السمع والبصر والقلب في إدراك التأثير أمر يؤكد القرآن ونبه عليه تنبيهاً عاماً في مواضع كثيرة الذي يوضح العلاقة الوثيقة بين هذه الحواس وبين التأثير القرآني. حدثنا القرآن عن حقائق في علم القلب لم يكشفها العلماء إلا في القرن الحادي والعشرين. والأبحاث الجارية اليوم تكشف من المزيد والمزيد بما يثبت إعجاز التأثيري هذا الكتاب.

٨. إن صلاح القلب يعني صلاح الجسد كله، وفساد القلب يعني فساد الجسد كله، أي أن القلب يحدد مصير صاحبه. وقد ثبتت بالتجربة العلمية أن المشاعر السلبية المختزنة من أقوى العوامل التي تؤدي إلى تنشيط وظائف المناعة عند الإنسان. وثبت أن ضعف أو خلل وظائف المناعة عند الإنسان يؤدي إلى زيادة نسبة الإصابة بالأمراض المختلفة، ومنها ما يهدد الصحة والحياة. وبالتالي فإن الإشاد النفسي لتعلم كيفية التخلص من المشاعر السلبية هو جزء أساسي في علاج الأمراض المزمنة. وقد صدق الصادق المصطفى ﷺ بقوله: يقول (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب).

٩. أن القلب ليس مجرد مضخة للدم، بل يقوم بتخزين المعلومات ويضخ الأوامر لجميع أجزاء الجسد، ويشرف على عمل الدماغ، أي أن القلب يهيمن على الجسد. وثبتت

الأبحاث العلمية أن للقلب دور أساسي في الإدراك والفهم والفقه، وله دور في عملية الخوف والتعلم والحب والكره وكثير من الأحاسيس والمشاعر. وجميع هذه الحقائق أشار إليها القرآن في آياته الكريمة كما سبق بيانه.

١٠. إن موضوع تقدم السمع على البصر في القرآن الكريم لم يكن صدفة وإنما كان مقصوداً، وقد ساعدت الاكتشافات العلمية الحديثة في تفسير أسباب هذا الترتيب.

١١. ثبت للباحثين بعض مظاهر الإعجاز التأثري للقرآن الكريم من خلال تلاوة القرآن الكريم واستماعه بتدبر. وهذا التأثير يكون في حالات اليقظة والنوم كما قال تعالى ﴿مِنْ آيَاتِهِ مَتَابُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ﴾ (سورة الروم ٣٠: ٣٠)

١٢. الأبحاث حول أثر القرآن كعلاج لحالات مختلفة لاتزال في بداياتها والمطلوب الآن التركيز لاكتشاف ذلك التأثير طبقاً لمنهجيات علمية محددة.

١٣. الرقية الشرعية بالقرآن الكريم لها سند في الشريعة الإسلامية وشواهد عصرية تؤيدها ويمكن أن تفيد المرضى - بإذن الله - إذا استوفيت الشروط الشرعية لها. أما استخدام الرقية الشرعية لاتقاء الأمراض فهذا أمر لا يأس به، ويمكن أن يكون من أساسيات الطب الوقائي.